الإســلام وطــن

تأليف

الإمام المجدد السيد مُحَمَّد ماضي أبو العزائم

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

الحمد لله، من ذا يعرف قدرك فلا يخافك، ومن ذا يعلم ما أنت فلا يهابك، ألَّفت بقدرتك الفرق، وفلقت بلطفك الفلق، وأنرت بكرمك دياجي الغسق، وأنزلت من المعصرات ماءًا ثجاجاً، وجعلت الشمس والقمر للبرية سراجًا وهاجًا.

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ المظهر الأكمل الذي أشرقت منه بدور الشرائع الأولية، فانمحت تلك البدور من شدة تلك الأنوار القدسية.

وعلى آله الأئمة الهداة المهديين، أوليائك المصطفين، وحزبك الغالبين، وصفوتك وخيرتك من خلقك الذين جعلتهم حجة على العالمين. وعلى صحابته الهادين المهديين. ورضي الله تبارك وتعالى عن الإمام المجدد السيد مُحَمَّد ماضي أبو العزائم عليه السلام فرع الشجرة النبوية والدوحة الهاشمية، المضيئة المثمرة بوراثة النبوة، المونقة بالإمامة.

ونضر الله وجه خليفته الأول الإمام الممتحن السيد أحمد ماضي أبو العزائم عليه السلام المطيع لله القائم بأمره الفائز بكرامته، الناصر لدينه، الداعي إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وبعد فتقدم دار الكتاب الصوفي – وهي إحدى أنشطة مشيخة الطريقة العزمية – الطبعة الثالثة من كتاب " الإسلام وطن والمسلمون جميعًا أهله " ولن ألخص في فاتحة الكتاب أبواب وفصول موضوع هذا الكتاب حتى لا أفوت على القاريء المسلم متعته به ولكن أنبه إلى جلال موضوعه وعظيم خطره.

فلقد أبتلي الإسلام على مر العصور والدهور بالأعداء الذين أحاطوا به من كل جانب، والمؤامرات التي دبرت ضده لتفرق كلمته وتشتت شمله، من يوم الردة إلى أيام الانقسام والحروب، إلى نكبة هولاكو والمغول، إلى هجمات الصليبيين، إلى إلغاء الخلافة الإسلامية وتفريق كلمة المسلمين وجعلهم أمماً وشعوباً مختلفة، بعد أن كانوا تحت لواء الخلافة الإسلامية أمة

واحـدة. إلى الأفكـار والمبـاديء الهدامـة كالشـيوعية والعلمانيـة والوهابيـة والماسونية والبهائية و القديانية. إلى الأحزاب السياسية المتناحرة.

نكبات تلو نكبات ولكنها دون ما يواجه الإسلام في هذه الأيام من حملات الإبادة من الصليبية والصهيونية والشيوعية والعلمانية والوهابية، واجتمعت أمام العالم الإسلامي لمحاربته واستعباده من طاجيكستان إلى أذربيجان إلى البوسنة والهرسك إلى كوسوفو والبانيا إلى بورما والهند وكشمير إلى سيريلانكا والفلبين، إلى نيجيريا وليبيريا والصومال، إلى اللاجئين المسلمين في فرنسا وألمانيا وايطاليا وأسبانيا من المغاربة والجزائريين والأتراك.

وبالتفصيل ففي قارة آسيا قام الوثنيون البوذيون وبالتحديد في بورما في شهر شوال 1412هـ إبريل 1992م - بقتل المسلمين، وإلى بنجلاديش بلاد الفقر والحرمان طردوهم وشردوهم، فعانوا من قهر وجوع وألم العري وجحيم الحرمان دون أن ينتظروا عوناً من حاكم مسلم ولا عالم مسلم ولا من شعب مسلم لأن حكامنا يغدرون ويخدعون وعلماؤنا مشغولون بالطواف حول البيت الأبيض أما الشعوب الإسلامية فإنها ضحية الفقر والجوع أو الغزو الثقافي الذي إغتال روحه وهويته.

وفي الفلبين : حدث ولا حرج خمسة مليون مسلم وهم جبهة تحرير " مورو الإسلامية " تخوض غمار حرب صليبية كانت نتيجتها قتل مائة ألف مسلم وتشريد نصف مليون وإغتصاب مليون هكتار من أرض المسلمين وحرق البيوت والمساجد والمدارس.

وفي تركستان الشرقية : دخل شعبها المسلم في صراع دام قرنين وإنتهى الصراع بإحتلال أرضه، ومحاولة إذابة شخصيته الإسلامية في محيط بشري يحاول إبتلاعه، فتارة يحتل أرضه الروس في غزو قادم من الغرب، وتارة أخرى تأتيه جحافل الغزاة من الشرق من الصين وأخيراً ضم إقليم التركستان الشرقية عنوة إلى الصين. ولم يستسلم شعب التركستان المسلم للإحتلال الصيني بل قاوم هذا الغزو، وحاولت الصين تهجير الملايين من سكانها إلى التركستان لتحد من الأغلبية الإسلامية التي وصلت إلى 90% قبل سياسة التهجير لطمس المعالم الإسلامية. وأغلق الشيوعيون المدارس الإسلامية والمساجد واستولوا على الأوقاف الإسلامية.

وفي أذربيجان : سيطر السوفيات عليها فواجه المسلمون تحدياً في تضييق الخناق على عقيدتهم فلقد هجَّر الروس أعداداً كبيرة إلى أذربيجان بحيث أصبحوا يشكلوا أكثر من 10% من السكان وتقلص عدد المساجد من الآلاف إلى 16 مسجد، كما نقص عدد المدارس الإسلامية بل أصبحت في حكم المنتهية. وبعد زوال الحكومة الروسية استقلت حكومة أذربيجان ولكن قام صراع بين أذربيجان وأرمينيا حول إقليم " ناجورنو كاراباخ " بينما كان قادة أذربيجان منهمكين في الصراع على السلطة الذي بلغ ذروته بهروب الرئيس أبو الفضل التشيمي من العاصمة باكو فسقطت مدينة هامة في إقليم ناجورنو كاراباخ المتنازع عليه مع أرمينيا في أيدي الأرمن ولم يعد هناك أذربيجاني مسلم واحد في الإقليم والسبب في ذلك هو الصراع على السلطة بين قادتها وقيام المتمردون الأذربيجان بقطع طريق

الإمدادات العسكرية من باكو إلى القوات الحكومية في " ناجورنو كاراباخ " وكأن إقالة الرئيس أهم وأولى من ضياع السيادة على الإقليم. وإنا لننتظر من الأمم المتحدة " على المسلمين " أو مفتيها بطرس بطرس بطرس غالي أن يَحْدُثَ في أذربيجان مثل ما حدث في الصومال وفلسطين والبوسنة والهرسك.

وفي طاجيكستان : وهي إحدى الولايات في وسط آسيا التي تحررت من الإحتلال الروسى وقامت الجبهة الإسلامية بطرد عميل الشيوعية رحمن نابابيف فإذا بالدبابات الروسية تحاول ارجاع هذا العميل إلى مقعد السلطة في طاجيكستان وأعملت القتل في الجبهة.

وفى كشمير وجامو : نسبة المسلمين بها أكثر من 75% وغداة إستقلال الهند وباكستان 1947م كان يحكم كشمير مهراجا من الهندوس على الرغم من الأغلبية المسلمة، وقد ثار المسلمون مطالبين بالإنضمام إلى باكستان وقامت الحرب بين الدولتين إلا أن الأمم المتحدة " على المسلمين " لم تفصل في النزاع وتجمد الوضع على أن ثلث كشمير أصبح لباكستان والثلثين يتبع الهند ويبلغ عدد المسلمين في كشمير وجامو حوالى 7.5 مليون ففي القطاع الهندي 4.500.000 مسلم وفي القطاع الباكستاني 3.000.000 مسلم. ويتعرض المسلمون في كشمير إلى تحديات عقائدية ومذابح بين المسلمين والهندوس، وفى ديسمبر 1992 قام الهندوس بهدم المسجد البابري في أبو جينيا من أجل الوثن رام وذلك بإيعاز وتشجيع المخابرات الإسرائيلية كي يكون هدمه مقدمة لهدم المسجد الأقصى وكذلك

لكسر شوكة المسلمين في الهند وفتح الباب أمام هدم ثلاثة آلاف مسجد أخرى.

وفي أفغانستان : انتصر المجاهدون من أبناء الطرق الصوفية على روسيا ولما تدخلت الوهابية بعد طرد الروس لم يكن لها من حجة إلا بث الفرقة بين صفوف المجاهدين فغيرت اسم أحد القادة من عبد الرسول سياف إلى عبد رب الرسول وأشاعت بين صفوف المجاهدين الفكر الوهابي فراح كل فريق يقتل بعضه بعضاً طمعاً في كرسي السلطة ويشعلون الجحيم في كابول. والإسلام ينهزم كل يوم في أفغانستان تحت وقع قنابل الفرق المتقاتلة، وأهداف الإسلام تتمزق مع إنفجارات صواريخهم.

وفي الجنوب اللبناني: تدك الطائرات الإسرائيلية جنوب لبنان كل يوم في صمت كامل ورضا من الأمم المتحدة " على المسلمين " وبلا تعليق من أمينها العام ترزي الشرعية. وقد إستمرت الحرب الأهلية اللبنانية مشتعلة لأكثر من خمسة عشرة سنة، وأكلت الأخضر واليابس، وقتلت مئات الألوف وخربت بيروت، ومازالت لبنان خراباً ومع ذلك ستمضي الأمم المتحدة " على المسلمين" في تآمرها على الإسلام والمسلمين.

وقد قامت إسرائيل في أغسطس 1993 بالرد على بضعة صواريخ كاتيوشا أطلقت من الجنوب اللبناني بإطلاق 35 ألف قذيفة خلال سبعة أيام من الضرب المتواصل على جنوب لبنان وكانت النتيجة فرار نصف

مليون لبناني مسلم من الجنوب إلى الشمال وتفريغ الوف الهكتارات من الأراضى من سكانها وتدمير 75 مدينة وقرية.

وفي قبرص : قبل الحكم البريطاني كان سكان الجزيرة 60.000 من الأتراك، 20.000 من اليونانيين. وفى ظل الحكم البريطاني زادت هجرت اليونانيين إلي الجزيرة، وبالمقابل هاجر الأتراك منها. والآن يقترب عدد الأتراك المسلمين بقبرص من 120.000 نسمة وعدد اليونانيين حوالي 529.000 نسمة ويعيش معظم الأتراك في القسم الشمالي من الجزيرة وتناقص عدد الأتراك بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى،وتعاقب الإصطدامات بعد ذلك بين الطائفتين التركية واليونانية وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية طلب القبارصة الأتراك بإستقلال الجزيرة مما أدى إلى تقسيم الجزيرة ففي القسم الشمالي شكل الأتراك حكومة منذ 1975 وفى القسم الجنوبي والأوسط شكل اليونانيون حكومة القبارصة اليونانيين. ولم تَسْلمَ قبرص المسلمة من مخططات ترزي الشرعية لمخططات الأمم المتحدة " على المسلمين " حيث صرح رءوف دنكتاش رئيس قبرص الشمالية بأن العميل بطرس غالي طلب منه التنازل عن مدينة كاملة لليونان المسيحيين بدعوى أنها مسيحية وهي مدينة " جوزيل يورت ".

وفي فلسطين : منذ الإنتداب البريطاني لها والإنتهاب الإسرائيلي يعمل لإغتصاب أرضها. وبعد حرب 1948 وهزيمة الجيوش العربية أمام العصابات الإسرائيلية أعلن قيام دولة إسرائيل واستمرت المذابح الإسرائيلية لمسلمي فلسطين مع رضاء بريطاني وفرنسي تام حتى تم إعتبار القدس

عاصمة لدولة إسرائيل ومن يومها تمارس إسرائيل القتل والإعتقال والطرد فتلقي بأربعمائة فلسطيني وتضرب عرض الحائط بكل قرارات الأمم المتحدة " على المسلمين". وتدك إسرائيل بطائراتها المخيمات الفلسطينية في صبرا وشاتيلا.

وفي العراق : حرضت أمريكا العميل صدام حسين لحرب إيران التي استمرت سنوات ثمان وأمدته كل الدول الأوربية والعربية حتى أصبحت العراق ترسانة حربية ضد إيران ثم حرضت أمريكا عميلها الخائن صدام حسين على غزو الكويت فقامت أمريكا ومعها الصليبية الأوربية بدك الشعب العراقى وكالعادة كافأت صدام حسين فلم تمسه بسوء وحافظت على سلامته فهو ثروة لها في بلاد الخليج – بلاد البترول – ومازالت أمريكا تهدد العراق بضربها بالصواريخ إذا لم تضع كاميرات التجسس الأمريكية في هذا الموقع أو ذاك من أرض العراق.

وفي أوربا : في البوسنة والهرسك عملية إبادة عرقية وطرد جماعي لثلاثة ملايين مسلم من أرضهم وقتل اكثر من مئتي ألف شهيد وتعذيب وحرق للمسلمين أمام تواطؤ عالمي من الأمم المتحدة " على المسلمين " وأمام دول عربية تكتفي بالشجب والإستنكار ودول إسلامية تخفي رؤوسها في الرمال وكلهم عملاء للمخابرات الأمريكية حتى أن سفاح الصرب " سلوبودان ميلوسوفيتش " يقول : أنه لا أحد يريد أن يكون للإسلام دولة في أوربا فاليوم البوسنة والهرسك وغدا بلغاريا والبلقان والبانيا وتركيا.

وفي أفريقيا : تواصل الحملة الصليبية ضد ليبيا حيث اتهمت أمريكا ليبيا بتفجير الطائرة الأمريكية فوق لوكربى فاستصدرت قرارًا ضد ليبيا يدعو إلى فرض عقوبات على ليبيا تتمثل في الحظر الجوى والحصار الإقتصادي ولم تتحرك الأمم المتحدة " على المسلمين " بالنسبة لليبيا لأن المخطط الصليبيي يريد ذلك.

وفي الصومال : تدخلت الأمم المتحدة بفرية إنسانية وهي إطعام أطفال الصومال فأرسلت 30 ألفاً من عساكرها مزودة بالطائرات والعتاد الحربي الثقيل لتأمين وصول الأغذية إلى الصومال وحقيقة الأمر أن الإنسانية غائبة عن أمريكا وذيولها فالصومال موقع إستراتيجى على بوابة البحر الأحمر بالنسبة لكل الدول التي تقع في القرن الأفريقي الصومال وارتريا والحبشة وجيبوتى لذلك كان الصومال موضع إهتمام السياسة الأمريكية.

أفيقوا أيها الحكام من رقدة الجهالة ونوم الغفلة :

إن السياسة الأمريكية لها وجهين الوجه الأول مطاردة الإرهاب وإعلان الحرب على القذافى والأسد لأنهما يأويان الإرهاب، والوجه الثاني لأمريكا تفتح به أبوابها لتأوي الإرهابي عمر عبد الرحمن في بلادها كما تفتح قلبها للإرهابي الإسرائيلي مائير كاهانا وتروج لأفكاره وتحاكم قاتله ". راجع كتاب المؤامرة الكبرى للدكتور مصطفى محمود.

وفي ظل السياسة الأمريكية تفعل أمريكا ما تشاء بشرط أن يكون ذلك وفقاً للخطة الأمريكية فصدام حسين القاتل والإرهابي ظل يتمتع بالحضانة الأمريكية مادام هو يسير على الخطة، وكذلك ماركوس وسياد بري وتشاوتشيسكو الذي كان يتلقى راتبًا من المخابرات الأمريكية وكلهم قتلة وإرهابيون استخدمتهم السياسة الأمريكية وساندتهم وأغدقت عليهم المال والسلاح ماداموا تحت سيطرة العمالة الأمريكية وكانت ترى جرائمهم حسنات حتى بدأوا يعملون لحسابهم وهنا فقط أصبحوا إرهابيون وحق عليهم العقاب.

أفيقوا أيها الحكام من رقدة الجهالة ونوم الغفلة :

إن الخطة الأمريكية الآن تحاول أن تدخلنا في حرب مع إيران والسودان بحجة أنهما يصدران الإرهاب لمصر والجزائر وهذه خدعة أمريكية يستدرجونا إلى حتفنا لنشر الفتن في المنطقة الإسلامية وإيقاع الكل في الكل ليضرب بعضهم بعضاً ويخربون بلادهم بأيديهم دون أن تتكلف أمريكا ودول أوربا الصليبية وإسرائيل رصاصة واحدة.

ألم يجمعونا ويجمعوا جيوش العالم في الخليج لحرب صنعوها في عقل صدام حسين وأمدوه بسلاحها. وما كان يحلم به صدام حسين من إمبراطورية عربية تحت رايته كان طمعًا وإغتصابًا وكان تغريرًا ومكيدة أمريكية وكالعادة كافأت أمريكا صدام حسين فلم تمسه بسوء وحافظت على سلامته فهو ثروة بالنسبة لسياستها في أرض البترول لقد كتب " ستيفن رونفلد "

في " الواشنطون بوست " ينعي على حكام المسلمين خذلانهم لإخوانهم الذين يذبحون في البوسنة والهرسك وفي طاجكستان وأذربيجان والبانيا وبورما، والهند وكشمير وسيريلانكا والفلبين، ونيجيريا وليبريا والصومال، واللاجئين وراء لقمة العيش في فرنسا والمانيا وإيطاليا وأسبانيا من مسلمي مصر والجزائر والمغرب وتركيا وعلى الجانب العربي لم نجد إلا الشجب والإستنكار له بل إن من بين الدول الإسلامية من وجدنا يبيع بتروله للصرب. ثم في سخرية وقحة يقول الكاتب الأمريكي "كان هناك كلب ولكننا لم نسمعه ينبح ليدفع الذئاب عن غنمه ولا شك أن الأسد والفهد والنمر الذي تُصوره الصحافة الغربية لم يكن سوى هرة أليفة تموء.

إلى هذه الدرجة بلغت الشماتة بالصحافة الغربية. ترى هل يفيق حكامنا من رقدة الجهالة ونوم الغفلة..!!

وإذا قلتم ياحكام الخليج أن أمريكا والدول الأوربية لا يمكن أن ترتكب هذا الإجرام بالنسبة لدولكم فنقول : ياحكام رقدة الجهالة ونوم الغفلة أليس ضرب البوسنة والهرسك وشعبها الأعزل وتحويلها إلى مقبرة كبرى للمسلمين في أوربا على مشهد من الأمم المتحدة " على المسلمين " أليس إجرامًا أمريكيا !! وضرب العراق بالصواريخ إذا لم تضع الكاميرات الأمريكية في أرض العراق أليس إجرامًا أمريكيا !! نزول أمريكا على شاطيء الصومال في بعثة إحسان لإطعام الجياع ثم مطاردتهم بالقنابل والرشاشات أليس إجراماً أمريكيا !! وإستباحة الجنوب اللبناني سبعة أيام لقنابل وطائرات إسرائيل

ومحاولة إحراق المسجد الأقصى بأيدي الصهيونية أليس إجراماً أمريكيا أيضاً!!.

أفيقوا أيها الحكام من رقدة الجهالة ونوم الغفلة :

لقد كان شاه إيران يعتقد أنه في حضانة أمريكا، ومن بعده ماركوس زعيم الفلبين، ونورييجا زعيم بنما، وسياد بري رئيس الصومال فغدرت بهم أمريكا وأسلمت اثنين منهما للموت والثالث للسجن والرابع للنفي ونكست برأس عميلها الخامس صدام حسين في حضيض الخذلان.

وهذه آثار الذين اطمأنوا إلى عهود الذمة الأمريكية.

نقولها بصراحة لهؤلاء الحكام إن قلب أمريكا وحضانتها دائمًا مع أرض إسرائيل، أما عينها فعلى ما تحت رمالكم من بترول حتى تستنفذ ما فيها ثم يكون لها شأن آخر مختلف عن المواثيق. حتى روسيا التي حصلت على 43 مليار دولار من الدول الخليجية أعلنت أنها مع الصرب. إن الصليبية العالمية والشيوعية والصهيونية كل هؤلاء يتآمرون علينا عرب ومسلمين، وإن أموالكم المودعة ببنوك أمريكا لن تعطيكم أماناً ولا ضماناً، ولا يستطيع أحداً منكم أن ينقل قصراً إشتراه في إنجلترا أو فرنسا أو سويسرا أو أمريكا إلى بلده.

أيها المسلمون في الوطن الإسلامي:

لا تقنطوا من رحمة الله، فلا يقنط من رحمة الله إلا القوم الكافرين. لقد ماتت روسيا وهي حية بدون حرب، وفى جعبتها قنابلها الذرية التي تكفي لنسف الكرة الأرضية عدة مرات، وفى الفضاء تدور سفنها، وسوف يسقط العملاق الأمريكي وتوابعه من الصليبية والصهيونية دون أن يطلق عليهم المسلمون رصاصة واحدة. وأين عاد وثمود وإرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ؟!

وأين دولة الروم والفرس والتتار ؟!

وأين المانيا النازية وإيطاليا الفاشية ؟!

وأين الإمبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس ؟!

وتلك سنن الله التي لا يملك أحد لها تبديلاً ولا يملك أحد لها تحويلاً.

والله هو الحاكم المنفرد بلا شريك في هذه الدنيا، وهو الذي يخفض ويرفع فالله قادر على أن يرج أرض أمريكا بالزلازل ويغرقها بالفيضانات ويدمرها بالعواصف ويحرقها بالبراكين في لحظة واحدة رغم الترسانات التي لديها من الأسلحة النووية والميكروبية والكيماوية، وما حدث لجيش أبرهة قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان من طير أبابيل فالمولى سبحانه سيدمر أمريكا وعملائها.

انظر كيف فعل إعصار أندرو في ساحل ميامي بأمريكا في لحظة واحدة لقد دمر هذا الإعصار المدن الأمريكية وكلف أمريكا 13 مليار دولار في لحظة واحدة.

انظر إلى قدرة الله تجد أن تكلفة إعصار اندور 13 مليار دولار في لحظة واحدة بينما ما تكلفته أمريكا والدول الغربية والعربية والإسلامية في حرب الخليج زهاء عام كانت تساوى نفس هذا المبلغ.

والقرآن حدثنا أن نهاية إسرائيل وتدميرها سيكون على يد المسلمين قال تعالى : ﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ سورة الإسراء آية7 أى يدمروا كل ما أقامت إسرائيل من مستعمرات وكل ما عمرت من أرض.

وبهذا تنبأ الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام في كتابه الجفر حيث قال في حق أمريكا.

أَكِيرْمَا قَدْ رَمَاهَا ٱلظُّلْمُ فَانْمَحَتْ مِنْ بَعْدِ زُخْرِفِهَا فِي كُلِّ أَدْوَارِ

وقال في حق بريطانيا وفرنسا وغيرها

يَا بِرِيطَانْيَا قَدْ ظَلَمْتِ وَلَٰكِنْ شَقَّ ظُلْمِ ٱلْعِبَادِ مِنْكِ ٱلْمَرَارَةِ

يَا فَرَنْسَـــا نَشَـــرْتِ كُفْـــرًا وَزُورَا بَـيْنَ أَهْـلِ ٱلتَّوْحِيـدِ بِـئْسَ ٱلتِّجَـارَةِ

وَٱلْقَـــوِيُّ ٱلْقَهَّـــارُ أَمْهَـــلَ حَـــتَّىٰ أَحْـرَقَ ٱلْكُـلَّ مِـنْ لَهِيـبِ ٱلشَّـرَارَةِ

وقال في حق إسرائيل

فِي فِلَسْـــطِينَ فِتْنَـــةٌ مَـــنْ رَآهَـــا قَـالَ صُـغْرىٰ لَـٰكِنَّهَا نَارُ وَاصِـبْ

فِي فِلَسْـــطِينَ قَـــدْ تَلُـــوحُ شُـــئُونٌ مَحْـوُ صُـهْيُونٍ وَٱلْقَـوِيِّ ٱلسَّـالِبْ

يا أدعياء الصحوة الإسلامية :

أقول لكم بصراحة لقد حاولتم الوصول إلى الحكم منذ عهد الملك فاروق فسلط الله عليكم البوليس المخصوص وحاولتم الوصول في عهد عبد الناصر فسلط الله عليكم المباحث العامة ثم حاولتم الوصول إلى الحكم في عهد السادات فسلط الله عليكم مباحث أمن الدولة ثم حاولتم الوصول إلى الحكم في عهد مبارك فسلط الله عليكم الأمة بأكملها ممثلة في شعبها الواعي وجهاز الشرطة بكافة تخصصاته. فلماذا لم يمكنكم الله من الوصول إلى السلطة ؟؟. وكانت النتيجة في كافة هذه المراحل أحكام الإعدام والأشغال الشاقة المؤبدة والمؤقتة.

أتظنون أن الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور يخفى عليه شعار " الإسلام هو الحل "كما سبق لأسلافكم أن رفعوا هذا الشعار فنادوا " ليس الحكم لك ياعلي وإنما الحكم لله " شعار براق يأخذ بلب السامع فيخال القائل به حريصًا على تطبيق أحكام الله، ورافضا لأحكام غيره من البشر ولكن الحقيقة ليست كذلك، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ سورة البقرة آية 204. نعم كثيرا ما نغتر بالشعارات البراقة ولا نعرف ماذا تخفي ولكن الإمام علي عليه السلام يعرف ذلك لأنه باب مدينة العلم فأجابهم " إنها كلمة حق يراد بها باطل " لأن الله لا يريد أن تحكم بلاد الإسلام من خلال رصاصات ومتفجرات وإغتيالات بل يريد لبلاد الإسلام أن تحكم من خلال الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

كما أن الله لا يريد أن يحكم بلاد الإسلام من خلال الجهاد الأصغر بل من خلال الجهاد الأكبر ألا وهو جهاد النفس. فالإسلام دعوة لا ثورة وإستنارة لا إنقلاب.

لقد أخطأتم حينما تحولتم من دعاة إلى الله إلى دعاة للتسلط على الحكم تارة بالجهاز السري وتارة بالتكفير والهجرة وتارة بالجهاد الأصغر لا الأكبر. فالعنف ليس سبيلا للوصول إلى السلطة والإرهاب ليس طريقًا للحل.

أقول لكم هذا وأقول للغنوش زعيم حزب النهضة الإسلامي بتونس وأقول لعباس مدني زعيم الحزب الإسلامي للإنقاذ بالجزائر وأقول لزعيم حزب العدل والإحسان بالمغرب وأقول لحسن الترابي زعيم حزب الإخوان في السودان وأقول لنظرائهم في سوريا والأردن ومصر. ليت لهؤلاء وأولئك من أدعياء الصحوة الإسلامية أن يكفوا عن تطلعهم للحكم ويتفرغوا للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وإلى تحبيب الناس في الإسلام بالقدوة الحسنة والأسوة الطيبة لا بالتدمير بل بالتعمير ولا بالإغتيالات بل بالإبتهالات أن يغير الله حالنا إلى أحسن حال.

يا أدعياء الصحوة الإسلامية :

إنكم في الحقيقة لستم شباب صحوة بل شباب كبوة، أنتم سلالة الخوارج على مر العصور والدهور وسلالة من قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، أنتم سلالة من قتل الإمام علي عليه السلام معلنين شعار " إن الحكم إلا لله " هذا الشعار الدوار بكل عار ودمار

وبوار. أنتم سلالة الخوارج التي قامت في القرن الثالث الهجري وتمسحت بثوب السلفية. وأنتم سلالة الخوارج التي ظهرت في القرن الرابع الهجري تحت اسم الظاهرية ورفع شعارها الخارجي ابن حزم الظاهري. وأنتم سلالة الخوارج التي ظهرت في القرن السادس الهجري ورفع شعارها الخارجي الأزرقى ابن تيمية. وأنتم سلالة الخوارج التي ظهرت في القرن الثاني عشر

الهجري تحت اسم الوهابية التي زرعها البدعي النجدي مُحَمَّد بن عبد الوهاب. وأنتم سلالة الخوارج التي ظهرت بطلاء الأصولية في أيامنا هذه.

وتشترك عقائد الخوارج في كل أطوارها في صفة واحدة وهي تكفير كل من يختلف معها من المسلمين وبذلك يحل دمه وماله وعرضه. فإما أن تكون خارجياً (سلفياً أو ظاهرياً أو أصولياً) وإما أن تكون كافراً.

والأصولية كما يقول الدكتور مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي عميد كلية الشريعة بدمشق : " أنها مصطلح بريطاني " ومولتها أيد عميلة وهي مصطلح زائف مثل مصطلح الوهابية والتيمية والسلفية والظاهرية.

ياأدعياء الصحوة الإسلامية :

لا تسموا ما تفعلون في مصر وتونس والجزائر والمغرب من إغتيالات وانفجارات أن هذا جهادًا إسلاميًا ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ سورة الكهف آية 5. إنكم وهابيون مجرمون عملاء مستر همفر قديماً وحديثاً أعوان الموساد وسماسرة الCIA

وأقول للخارجى عمر عبد الرحمن إن حضن بوش وكلينتون لن ينفعه، ولقد كان شاه إيران يحتمى بالحضن الأمريكى من قبل. وفى أخريات حياته رفضت أمريكا أن تؤويه ولم يجد غير مصر تحتضن رفاته.

إخواني في الله وأحبابي في سيدنا رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ :

تمسكوا بصوفيتكم التي لا تتطلع للسلطة وتكتفي بالدعوة إلى الله على بصيرة وبالحكمة والموعظة الحسنة، وإلى تحبيب الناس في الإسلام بأن تكونوا أنتم أولا القدوة والأسوة والمثل ولو أدرك شباب الكبوة الإسلامية أن صولجان الحكم من جهنم لما تسابقت إليه أيدي الجماعات الأصولية أى عروش من جهنم يجلس عليها فجار ومجرمي الأرض أمثال كلينتون ويلتسين وميتران وجون ميجور وكول !!،أى كراسي من أجل الجحيم يجلس عليها هؤلاء !! هذا بالنسبة لكراسي حكام أمريكا وعملائها من حكام الدول الصليبية. أما كراسي الحكم في الدول العربية فهي قطع شطرنج تلعب بها أمريكا. فالحمد لله أن الصوفية لا تطالب بالجلوس على هذه الكراسي ولا تفكر فيها وليس هذا تواضعًا ولكن وعيًا وإدراكاً والحمد لله رب العالمين.

إخواني في الله وأحبابي في سيدنا رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ :

والإمام أبو العزائم عليه السلام يحارب في هذا الكتاب التفرقة العصبية، والتباعد القبلي والتناحر القومي. فلا معنى لكل ذلك إلا أنه من آثار الجاهلية التي قضى عليها الإسلام، فالتركى يقاتل إلى جانب العربي، ويجاهد الفارسي إلى جانب الإفريقي. ويقف الجيش المسلم وهو خليط من أجناس وقوميات وشعوب وقبائل مختلفة، وهو كالقلعة الحصينة، نصبت لحماية

الوطن الإسلامي. وأهل هذا الوطن هم إخواننا المسلمون في المشارق أو المغارب.

والعجيب أن نجد غالبية دعاة التفرقة والتباعد القومي وموجهي الأحزاب العقائدية هم من غير المسلمين وهم يدعون إليها المسلمين. وفي بلاد الإسلام.

فزعيم حزب الشعب العربي الإشتراكي (ميشيل عفلق) وهو غير مسلم. وزعيم حزب القوميين السوريين (أنطون السعادة) وهو غير مسلم وزعيم القوميين العرب (جورج حبش) وهو غير مسلم. (وقسطنطين زريق) زعيم فريق آخر من القوميين وهو غير مسلم.

والإمام أبو العزائم عليه السلام في هذا الكتاب ينبه المسلمين إلى المؤامرات الإستعمارية التي حيكت خيوطها لإخراج الإسلام من ميدانه العالمي الفسيح إلى دروب القومية والجنسية الضيقة.

فالعربي، هو كل شيء بالإسلام وهو لا شيء يذكر إذا تجرد من الإسلام.

والإفريقي هو كل شيء بالإسلام وهو لا شيء يذكر إذا تجرد من الإسلام.

والآسيوي هو كل شيء بالإسلام وهو لا شيء يذكر إذا تجرد من الإسلام.

ولقد عرف القاريء المسلم أهمية هذا الكتاب عندما قام بنشر طبعته الأولى سيدي العارف بالله والدي السيد أحمد ماضي أبو العزائم عليه السلام في غرة المحرم 1338 هـ فكثر الطلب له والإقبال عليه حتى نفذت نسخه، وأعدت بحمد الله وبركته طبعته الثانية في ربيع الثانى 1393هـ ثم أعدت طبعته الثالثة في صفر 1414هـ.

وبعد. فإن هذا الكتاب لا يحتاج إلى تصدير ولكن قدر الله وما شاء فعل أن يشرفني فيجعل لي كلمة في أول هذا الكتاب والله أسال أن يحقق من الخير بآثار الإمام أبى العزائم العلمية فيما يأتي من الأيام أكثر مما حقق فيما مضى وأرجو الله تبارك وتعالى أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين.

دار الكتاب الصوفى **الخليفة الثاني للإمام**

الاثنين **السيد عز الدين ماضي**

أبو العزائم

27 صفر 1414هـ

16 أغسطس 1993م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، وعد أهل طاعته بأن يستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم – ووعده الحق – وهو على كل شيء قدير، سبحانه هو مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. وعد – ووعده الحق – أن يظهر دينه على الدين كله، وبشر عباده المخلصين بقوله : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾[1]

وقال سبحانه وتعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [2] سبحانه وتعالى يُجَدَّدُ ولا يَتَجَدَّد، والصلاة والسلام على الرءوف الرحيم خاتم رسل الله، من أكمل الله به دينه وأتم به علينا نعمه، وآله الأطهار، والمهاجرين والأنصار، الذين قاموا لله بصدق وإخلاص ؛ ففتح الله بهم قلوباً غُلْفاً وآذانا صُمًّا، وأعيناً عُمْياً، وجاهدوا في الله حق جهاده.

([1]) سورة النور آية 55.
([2]) سورة التوبة آية 33.

وبعد،فإن كل واحد من المسلمين يجب عليه أن ينصح لله ولرسوله ﴿ﷺ﴾ ولخاصة المسلمين وعامتهم، وخصوصا عند نسيان العامة وسهو الخاصة، لتقوم القلوب – من نومة الغفلة ورقدة الجهالة – عاملة بالإخلاص لله لنفوز بنيل معية الله تعالى، فيكون الله معنا كما كان مع سلفنا الصالح، وبذلك يجدَّد لنا مجدنا الذي كان لنا، ويحفظنا في أوطاننا ويجعلنا أئمة لغيرنا وسادة عليهم كما كنا مذ كان الله معنا، بعنايته وتوفيقه وهدايته وإحسانه وفضله ورحمته.

وإنما هي نظرة بفكرة تنتج اختياراً للعمل الصالح، ورغبة في الآخرة، وعملا في الدنيا لله سبحانه ولرسوله ﴿ﷺ﴾ وللدار الآخرة.

ولما كان أهم ما نسيناه – نحن المسلمين – الوطن والنسب والعبادة والأدب الإسلامي، واعتصامنا بحبل الله، والواجب على كل مسلم لكل مسلم، وعلى كل مسلم للمجتمع الإسلامي، وعلى المجتمع الإسلامي لكل مسلم.

شرح الله صدري لتفصيل تلك المجملات وتوضيح تلك المبهمات ؛ فكتبت في كل أصل من هذه الأصول رسالة، الأولى : (الإسلام دين) والثانية : (الإسلام وطن) والثالثة : (الإسلام نسب) ثم جمعت بقية الأصول في رسالة رابعة سميتها : (وسائل نيل المجد الإسلامي) وهذه الرسالة هي رسالة : (الإسلام وطن).

والله أسأل أن يمنحني الإخلاص في العمل، وأن يتفضل على بقبوله، وأن يشرح صدور إخواني المؤمنين للإقبال عليه بالعمل، حتى نبلغ جميعاً الأمل بجاه حبيبه ومصطفاه ﷺ

اللهم أيدني بروح منك، ووفقني للصواب في القول والعمل، وألهمني الحكم، ويسر لي البيان، إنك مجيب الدعاء.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يقيمنا مقام العمال المخلَصين لحضرته العلية، ويهب لنا من العطايا والآيات ما به يجدد بنا السُّنَّةَ، ويجمع القلوب على الحق، إنه مجيب الدعاء وصلى الله على سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى آله.

خديم الفقراء

مُحَمَّد ماضي أبو العزائم

الباب الأول

الإسلام وطن والمسلمون جميعاً أهله

الفصل الأول

الإسلام وطن

كم أخفى الجهل معالم الحق وشوَّه جماله :

ليس بين أن يكون الإنسان على الحق البين أو يكون على الباطل، إلا كما بين العلم والجهل، وكم أخفى الجهل معالم الحق وشوه جماله !! وكيف لا ؟ وتلك معالم الفضائل دارسة، ومراقي السعادة خافية، وأنوار الحق محجوبة ؛ كل ذلك للجهل بأسراره، والغفلة عن الإطلاع على مقدماته المنتجة.

لست أعنى بالجهل : الجهل بعلوم اللسان ذلقا، أو بفنون تنوع المادة إلى أن تصيرها صورًا صالحة للانتفاع بها، أو بالأساليب التي يجلب بها الإنسان النفع الوقتي، ويدفع عنه الضار الوقتي، بحسب ما يلائم حِسًّا وميولا، إنما أريد بالعلم : فقه القلب الذي هو نور يجعله الله في قلب العبد التقى، فيشهد به من وراء ستائر الكون أسرار غد من حيث المآل وحسن المستقبل.

جهل الناس في زماننا هذا حكمة إيجاد الكون ونسوا يوم الحساب ، فحرصوا على نيل جميع آمالهم وحظوظهم في الدار الدنيا، حتى عمت عيون الفكرة عن أسرار الآيات المشرقة في الآفاق وفى أنفسهم، وبنسيانهم يوم الحساب جهلوا الفضيلة وطرقها والحق ووسيلته.

لا أخص العامة دون الخاصة، فإنا – والحمد لله – في زمان أصبحت فيه الألسنة أسنة، والأقلام سيوفاً، والتفنن في مدح ما يلائم الفرد وما ينبه بذكره ديناً يدان به، كان ذلك حقا أو باطلا، حتى صار الخطيب

المصقع، والكاتب البليغ، يشَّرع للناس آراء ومذاهب، تارة يستند فيها إلى من يهواهم، وآونة يرويها عن من يقلدهم، وحالا يبرهن عليها بعمل أفراد لا خلاق لهم، طَمْساً لمعالم الحق، وإخفاء لأنوار الفضيلة الحقة، ومحواً لآثار الأئمة الهداة الدالين على الحق والفضائل بالقول والعمل.

لم يكن ذلك إلا لجهل القلوب، وعدم فقهها، لأنه علم لا ينفع، وعمل لا يرفع، وليس بمبدأ صحيح يتكون منه مجتمع، يلهج به الداعي وهو يحسب أنه يحسن قولا وعملا بما يسميه الوطن، والأمة والنسب والمدنية نغمة على غير وتر، وصوت من جوف خال، طالعها في كتاب فنسى المبدأ وخالف الصواب ، أو سمعها ممن يعظمه في عينه فحسب كل بيضاء شحمة، وإذا ذكر بالدين قال : تعصب، وإذا وعظ قال: تقهقر،وإذا بين له الحق قال : جمود. كلمات ظاهرها ملائم للنفس اللقسة، وباطنها من قبله العذاب.

حقيقة تعريف الوطن :

الوطن ما يؤويك آمنا في سربك،معافا في بدنك، ميسراً لك قوتك، سواء كان محل مولدك أو دار هجرتك.

الوطن هو الإسلام وليس هو أرضا خضراء، أو أفقاً من سماء زرقاء. بل ذلك الوطن هو الإسلام، نعم، لأن العمل بروح الإسلام يجعل المسلمين رجلا واحداً كل فرد منهم عضو لذلك الجسد. سَوَّى الإسلام بين

الإمـام الأعظـم علـى عـرش ملكـه،وبين أحقـر عامـل مـا دام قائمـاً بواجبـه وبتنفيذ أحكام الإسلام والعمل بوصاياه.

يعمـل كـل مسـلم لخـير المسـلمين، فيكونـون جميعـاً عـاملين لواحـد، يتألم الأمير إذا تألم الحقير، ويفرح الحقير إذا فرح الأمير، وكفى المسلم فخراً – بعد العلم بالإسلام – أن يكون وطنه الإسلام، لأنه بالمحافظة عليه يسعد السـعادتين : سـعادة الـدنيا والآخـرة، لأن العمـل بالإسـلام قـوة لسـلطان المسـلمين، ونشـاط لأبـدانهم، وشـجاعة لقلـوبهم، وعـزة لنفوسـهم وجمـال لأخلاقهـم، وبهجـة لأرواحهـم، وصـفاء لـوقتهم. وكيـف لا ؟ والمسـلم خزانـة المسلم وكنزه حيث كان وأين كان، وسمعه وبصره وسيفه ورمحه، يحافظ المسلم علـى تجـارة أخيـه، ويعكـف بنفسـه علـى صـناعته، ولا يأخـذ إلا منـه، ولا يسـتعمل غـيره في حوائجـه، لأن المسـلمين رياض يانعـة لبعضـهم، وأشـجار دانية الجنى لكل فرد منهم، فيكون الإسلام هو الوطن العزيز، والمسلم هو الأخ الشفيق والشقيق.

ونحمي وطننا بأنفسنا وأموالنا، وندافع عنه بألسنتنا وأقلامنا، لأنه وطننـا العزيـز، ومسـقط رؤوسـنا، ومحـل نعمتنـا وثروتنـا، وسـعادتنا في الـدنيا والآخرة.

نعـم، يجـب علينـا أن نجعـل أرضـاً أقلـت المسـلمين، وسمـاء أظلـتهم وأنهاراً أروتهم ؛ محل عنايتنا، عملا بالإسلام وحفظاً للمسلمين.

جهل الناس فظنوا أن الوطن أرض سقط رأس الإنسان فيها وتربى عليها، نعم، هي وطن مجازاً، والوطن الحقيقي هو الإسلام لأن كل إنسان يغالي في حب تلك الأرض إذا سمع بأن أرضاً أخرى يمكنه أن يحصل فيها على الكماليات، فارق تلك الأرض منشرح الصدر بمفارقتها، قرير العين بالبعد عنها ، واستبدل بها غيرها، ولو أسِنَ ماؤها واكفهر جوها، ورعن هواؤها.

عجبًا للإنسان يقول : وطني وطني !! ما وطنك أيها المسلم إلا الإسلام، الذي بإحياء معالمه سعادتك في الدنيا والآخرة، وبالعمل بوصاياه مجدك في الدنيا والآخرة، لو أن الوطن الذي تدافع عنه وتغار عليه تلك الأرض الغبراء والسماء الزرقاء فما بالك تركب همة العزيمة إلى النأي عنه لطلب الكمال مع تيسير الضروري بوطنك وزيادة ؟!.

أفِقْ أيها المسلم، لا تجعل لك وطناً غير الإسلام، ولا مسقط رأس غير الإسلام، عنه فدافع تسعد، وبه فاعمل تكن من المفلحين. عجباً لأصحاب الأقلام وقد سودوا صحائف أوراقهم بحماسة للقاريء حتى رأى أنهم تميزوا غيظاً، واحترقوا غيرة على الوطن !! وهم العاملون على ضياع الخير ومحو السعادة من أبنائه، تراهم يتحيزون بالنصرة والفخرة لأرض غير أرضهم وقوم ليسوا منهم، ياسبحان الله !! جهلوا المبدأ فأخطأوا في النتائج، وأساءوا سمعاً فأساءوا فهما. اللهم إني أعوذ بك أن يكون لى وطن غير الإسلام،اللهم ونبه قلوب إخوتي المؤمنين ليعلموا الوطن حقيقة الذي به السعادة، وبالمحافظة عليه نيل الفلاح.

تذكر أيها المسلم مذكان الإسلام وطنك:

أنت أيها المسلم – وحقك – كنت أسعد الخلق طرا مذكان الإسلام وطنك، كانت تنحني لك الرؤوس التي عليها التيجان رهبة مذكان الإسلام وطنك،لم يكن ذلك لخصوص الأمير من المسلمين،بل – والله – كان أيضاً لتاجر حقير في بلاد غير إسلامية !.

كنت أيها المسلم إذا انتقلت إلى بلاد غير إسلامية، نبه على العامة والخاصة أن يمسكوا ألسنتهم، وأن يغضوا عنك أبصارهم، وأن يحتفلوا بك لتنشر عنهم الخير في بلادك، لم يكن ذلك إلا لأن وطنك الإسلام، وأنك تمثل جمال الإسلام وكماله بالوجه الأكمل.

فكنت وأنت منفرد كجيش خميس، تهتز له رؤوس أهل التيجان. تذكر أيها المسلم هذا المجد الذي كنت فيه مذكان وطنك الإسلام، أيام كان العالم أجمع إما أهل جزية أو أذلاء أهل موالاة. لم أقل هذا جهلا بسابق حالنا، ولا رجما بالغيب عن حقيقة أمرنا كان الصيني يلقى المراكشي فإذا قال : السلام عليكم، بش في وجهه فرحا بسماع الكلمة الإسلامية، وضمه إلى صدره، وأسرع به إلى بيته، وفتح له خزائن المسلمين التي في بيته، وقال : هذا مالي مباح لك خذ منه ما شيءت، فيقول له أخوه المسلم بارك الله فيك أخي، عروض تجارتي خارج البلد وفيها كذا وكذا دينارا، فانصرف معي وتسلمها أمانة،واقض حاجتك منها إن شيءت،ثم ينصرف إلى وطنه

وقد ترك حاجته عند أخيه المسلم، مطمئنا قلبه على ماله،مسرورا بحسن عمله.

كانت كلمة : (السلام عليكم) توجب على سامعها بذل المال والنفس في النصرة والتأييد، ما ذلك إلا لأن الوطن كان الإسلام.

حسبي ما بينت من البديهيات، ولا أخال أخي المسلم إذا اطلع على هذا إلا منشرح الصدر بكلامي هذا، مجاهدا نفسه على العمل به، قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ :"حب الوطن من الإيمان " يفهم من هذا الحديث مَنْ نَوَّرَ الله قلبه بفقه كلام رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، أن المراد بحب الوطن الذي حبه من الإيمان : هو كل أرض يسكنها المسلمون،وكل مجتمع إسلامي في كل بقاع الأرض، لأن الوطن الحقيقي هو الإسلام، الذي يبذل المسلم النفس والنفيس في حفظه وعزته،ودفع السوء عنه.

قطعة:3*ٱلإِسْلاَمُ وَطَنٌ وَٱلْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا أَهْلُهُ* أبياتها: 6 رويها:الهاء * غرة المحرم 1338هـ* بحرها:البسيط

بِـــرَبِّكُمْ وَطَـــنِي ٱلإِسْـــلاَمُ		بِـٱلنَّفْسِ وَٱلْمَـالِ وَٱلـرَّحْمَٰنُ يُعْلِيـهِ
أَفْدِيهِوَٱلْمُسْـلِمُونَ هُمُـو نَفْسِـي		فَـرْضٌ عَلَـيَّ بِصِـدْقِ ٱلْقَـوْلِ أَرْوِيـهِ
وَحُبُّهُمُووَكُـلُّ مَـنْ نَاوَأَ ٱلإِسْـلاَمَ		هُـوَ ٱلْعَـدُوُّ بِعَـوْنِ ٱللَّهِ أَرْمِيـهِ
غَطْرَسَـةًٱلدِّينُ مَـوْطِنُ نَفْسِـي أَصْـلُ		مِـنْ شَـرِّ كُـلِّ أُولِي ٱلطُّغْيَـانِ تَحْمِيـهِ
رِفْعَتِهَـــــــــــــــــا		رَأَتْ مَشَـاهِدَ تَقْـدِيسٍ وَتَنْزِيـهِ

بِـهِ ٱسْـتَظَلَّتْ وَبِـٱلنُّورِ ٱلْمُبِـينِ لَقَـدْ نَفْسِـي قَلِيـلٌ وَمَـالِي أَنْ أَجُـودَ بِـهِ		لِـلّٰهِ فِي ٱلـدِّينِ حَقًّـا لاَ بِتَمْوِيـهِ

فـإن كـل مجتمـع إسـلامي لا يكـون لـه العـزة الـتي بشَّـر الله بهـا المؤمنين،إلا إذا كـان كـل واحـد مـن المسـلمين لا يـرى لـه وطنـاً حقيقيـا إلا الإسـلام، عنـه يـدافع، ولخـيره يعمـل، يعـادي لأجلـه نفسـه ووالديـه وأحـب النـاس له، يدفع لحفظه ماله ونفائس ذخائره حتى تتحقق العزة لكل مسلم أين كـان وكيـف كـان، ويعتقـد أن ذل كـل فـرد مـن أفـراد المسـلمين – ولـو في المشرق الأقصى – هو ذل لكل مسلم ولو في المغرب الأقصى – ومادام كل فرد عاملا للوطن العزيز الحقيقي ؛ فكل واحد من المسلمين في عز ومنعة في الدنيا، ونعيم مقيم في الدار الآخرة.

التحرز ممن لم يدخل الإيمان في قلوبهم :

قـال الله تعـالى : ﴿ وَاعْتَصِـمُوا بِحَبْـلِ اللَّهِ جَمِيعًـا وَلَا تَفَرَّقُـوا وَاذْكُـرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1] وقد أعمى الجهل والهوى قلوب المغرورين، فظنوا أن كل عضو من أعضاء الإنسان يجب أن يستقل بنفسه، حتى لو قطعت الرجل لا

([1]) سورة آل عمران آية 103.

تتألم لها اليد، أو قطع العنق لا تتألم له الرجلان، جهلا بحقيقة الوطن، وعَمىً عن الصراط المستقيم.

يقول المسلم بمياه الهند : لا يهمني إلا نفسي ووطني،وأخوه المسلم بمراكش أو بمصر أو ببخارى يتألم من مرض ألم به في صلب المجتمع الإسلامي، فلا يحس بمرضه لسكره بخمرة الغرور، لنومة قلبه بالجهالة، فما يشعر إلا وقد سرى المرض إليه فندم، ولات حين مندم.

الإسلام هو الوطن، وقد مَّثل رسول الله ﴿ﷺ﴾ المسلمين بالجسد الواحد يتألم جميعه لألم أصبع من أصابعه، بل لألم أنملة من أصبعه.وإن أهل الغرور والجهلاء بالحقيقة يقودون جماعتهم والمشتركين معهم في أرض واحدة، إلى هاوية الذل والخزي بما خيل لهم شيطانهم وسول لهم سوء قصدهم، فيفصلون أعضاء الجسد الواحد بعضها عن بعض، ليتمكن العدو من كل عضو على انفراده.

أيها المسلم : وطنك الإسلام، وهو عزك ومنبع خيرك وحصن حفظك، لا تجعل لك وطناً سواه يستخلفك الله في الأرض كما استخلف الذين من قبلك، ويمكَّن لك في الأرض بالحق كما مكن لأسلافك من قبل،حسبنا عمل رسول الله ﴿ﷺ﴾ وعمل أصحابه من بعده، وعمل رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين.

هذا سيدنا نوح عليه السلام : فارق أرضا ولد بها ودعا على أهلها فأغرقهم وهاجر إلى غيرها. وسيدنا إبراهيم عليه السلام : هاجر من أرض ولد بها، وعادى أقرب الناس له، وخرج مهاجراً إلى الله. وهذا سيدنا إسماعيل عليه السلام : هجر أرضاً ولد بها. وهذا سيدنا يعقوب بن إسحاق عليهما السلام : هاجر مع أبنائه إلى مصر، ولم يكن وطناً لأجداده من قبل.

وهذا سيدنا موسى عليه السلام عادى من رَبَّاهُ، وأهلكه الله على يده،وأهلك أهل أرض تربى معهم عليها،وفارقها كارها لها، فرحاً بأرض هاجر إليها. وهذا المسيح عليه السلام : هاجرت به أمه وفارق أرضاً ولد فيها.

وكان كل نبي ورسول إنما وطنهم الحق، وحبيبهم الحق، ومقصدهم الحق.

وهذا سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، وأفضلهم على الإطلاق : عاداه قومه فهاجر من بلد الله وبلد خليل الله ودعا عليهم، فكانت عليهم سنين، ثم أقام بالمدينة هو وأصحابه ممن ولدوا بمكة، وتربوا بها – وهي حرم الله ومسكن أنبياء الله وبيت الوجهة العظمى للصلاة – فكانت المدينة لرسول الله ﴿ﷺ﴾ أروح لنفسه، وأحب إلى أصحابه.

وهكذا كل مؤمن بالله ومؤمن برسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾،يكون وطنه الإسلام، ودار عزه عز الإسلام – مهما كانت الأرض من جدب، أو فساد في الهواء، فإنها تكون– بالنسبة لأنها دار الإسلام– هي الوطن العزيز، الذي يدافع عنه بالمال والنفس، والوالد والولد،ومن ظن – لفساد في مزاجه – أو توهم – لخلل في وهمه – أو نافق – لمرض في قلبه حبا لأعداء الله ورغبة في موالاتهم، وقد قال الله تعالى : ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [1] ومن علامة النفاق أو ضعف الإيمان ونسيان يوم الحساب ؛ أن ترى المغرور يوهم جماعة من المسلمين في أرض المسلمين أن يقطعوا العلاقة بينهم وبين إخوانهم المسلمين،ولا يتألموا لمصائبهم وآلامهم، ويتركوهم لأعدائهم – فهو أشر على المسلمين من عدوهم وأضر عليهم من الشيطان الرجيم، وعلى جماعة المسلمين أن يعاقبوا هذا بأشد العقوبة التي تكون انتقاماً منه، وأدباً لغيره.

الذين يقولون بألسنتهم : إنا مسلمون :

وقد بلي المسلمون في هذا الزمان بأناس يقولون بألسنتهم : إنا مسلمون. وهم في الحقيقة سموم قتالة لا تخفى إلا على ذوى البصائر العمية، وكيف لا ؟ وهم قوم أشربوا في قلوبهم حب أعداء الإسلام والمسلمين، وتجردت قلوبهم من أنوار الإسلام فأظلم أفقها بالسخائم للإسلام والمسلمين،

([1]) سورة المائدة آية 52.

والمناوأة لله ولرسوله ﴿ﷺ﴾ : ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [1] قال الله تعالى : ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [3].

صفة هؤلاء القوم :

صفتهم أنهم يحبون العاجلة ويذرون الآخرة، ومن علامة حبهم للعاجلة أنهم يبذلون كل فضيلة ومكرمة لجلب النفع الخاص لأنفسهم، غير مبالين بالشر الذي ينتج عنه مهما كان – ولو عم كل مسلم – مادام الواحد منهم مغموراً بما يلائم حظه وهواه.

فذو الكلمة النافذة والقوة القاهرة : هو الحق عندهم مهما كان عمله من الظلم والجور والفساد،ومهما كانت عقيدته من الخزي والزور

([1]) سورة يوسف آية 21.
([2]) سورة فاطر أية 16-17.
([3]) سورة المائدة آية 54 – 57.

والبهتان. والبغيض عندهم : أهل الحق إذا لم يكن لهم سلطان قائم، فإنهم يقبحون عوائدهم – وهي الفضيلة الكاملة – وأخلاقهم – وهي الجميلة العادلة – وعقائدهم – وهي الحق المبين – ثم يموهون على جماعة المسلمين أنهم مسلمون، ليخرجوا كل مجتمع إسلامي خاص من المجتمع الإسلامي العام، ويفرقون بين أعضاء الجسد الواحد، لأن حظهم أعماهم عن الشر الذي يحيق بالكل بسبب سعيهم، والضرر الذي يعم الكل بسوء قصدهم ،فتعسا لهم تعساً.

نعم، هم يقولون إنهم مسلمون، بألسنتهم، والعلماء يعلمون أنهم الداء العضال للجسد الإسلامي، لا يقوم كل عضو من أعضاء الجسد بالواجب عليه إلا بعد معافاته من هذا المرض. ولو أننا تتبعنا أسباب ضعف المسلمين، لظهر لنا جليا أن سبب ذلك كله تلك الجراثيم الخبيثة، ولو أن قائفاً [1] لأنساب البشر نظر إلى سيماهم، لنسب كل واحد منهم إلى قومه، بل وإلى أبيه الذي بذره في رحم أمه.

لا يشك ذو بصر أن كل مسلم ذاق حلاوة الإيمان ولذة التقوى، وكان من أبوين مسلمين، لم يمتزج ماؤه في رحم أمه بقاذورات أهل الشرك والأنجاس، يغار على العوائد الإسلامية غيرة تؤدي إلى غارة يبذل فيها النفس والمال، فضلا عن العقائد والعبادة والأخلاق.

([1]) (القائف) الذي يعرف الآثار و الجمع (القافة) يقال (قاف) أثره ومن باب قال إذا تبعه مثل قفا أثره.

ظهرت تلك الضلالات في القرون الوسطى لما أن اعتنى بنو العباس بالموالي فامتزجت النطف في الأرحام فحصل من الفساد في المجتمع الإسلامي ما حصل : تفرقت الكلمة، وتشعبت الآراء، وكثرت المذاهب، وظهرت البدع ؛ فكان مالا يخفى من إنكار الفضائل البديهية ومعاداة المسلمين بعضهم لبعض، حتى صار المجتمع الإسلامي – وهو جسد واحد – له عدة قلوب، كل قلب يعمل على مضرة الآخر.

هذه الدولة الأموية وتلك الدولة العباسية، ثم قامت من بعدهم دول قادهم الغرور والحظ والرضا بالعاجلة، فخالفوا كتاب الله وسنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾،فكانت الدولة القوية تعين أعداء الإسلام لتستعين بهم على محو مجتمع إسلامي مستقل عنها.

وقد أكرم الله المسلمين برجال آل عثمان، أمدهم الله ففتحوا بلاد الروم، وقواهم فجمعوا أكثر أعضاء الجسد الإسلامي عليهم، إلا ما تناءى عنهم كالأندلس التي تذرف عيون كل مسلم بذكرها، وتذوب الأكباد عند استحضار ما كانت عليه وما آلت إليه،أسأل الله أن يأخذ ثأرنا من أعدائنا. أيد الله سلطان المسلمين بأنصاره من آل عثمان [1] وإن كنت أجد في نفسي شيئا عليهم من حادث الأندلس ؛ لأنهم – أيد الله ملكهم – ناموا عن نصرة إخوتهم المؤمنين بالأندلس، حتى تمكن أعداء الله منهم، ولعل لهم عذرًا، أسأل الله أن يغفر لي ولمن سبقني بالإيمان من إخوتي المؤمنين.

([1]) أملى الإمام المجدد أبو العزائم ﷺ هذا الكتاب سنة 1326 هـ أثناء قيام الدولة العثمانية.

واعلم أن حياتنا الطيبة – التي تكون لنا بها العزة من الله في الدنيا،والسعادة في الدار الآخرة – لا تكون لنا حقا إلا بأن نكون جميعا مع خليفة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، وأن نحقر كل لذة وشهوة وسيادة خاصة بذاتنا في جانب خير المجتمع الإسلامي.ولأن يكون الرجل منا فقيرا ذليلا – مع عز المجتمع الإسلامي وقوته وتماسك أعضائه – خير من أن يكون ملكا مستقلا بجماعة من المسلمين يفرق بذلك مجتمعهم ويضعف قوتهم، كما يفعله أعداء الإسلام ممن يدعون الإسلام كذباً، ويدسون الدسائس ليفرقوا المجتمع الإسلامي فيقولون : يجب علينا ألا نلتفت إلى غير بلادنا، وألا نتألم لآلام المسلمين أين كانوا، ولا نساعدهم بأموالنا. أولئك هم الضالون المضلون الذين كفروا بالله من حيث لا يشعرون، قال ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ : "من لا يهمه هم المسلمين فليس منهم ".

الفصل الثاني
المسلمون جميعا أهل كل وطن إسلامي

أدلة ذلك من القرآن والسنة :

نعم، إن الوطن هو الإسلام، والمسلمون جميعاً هم أهل الوطن، لا، بل كل مسلم لكل مسلم هو الجار الجُنُب، ولو كان أحدهما في مراكش والآخر في الهند،بل هو الصاحب بالجنب، لا – وأستغفر الله – بل هو الأخ كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [1] وقال ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ : " أَحبَّ لأخِيكَ ما تُحبُّ لنفسك " وقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ [2].

وقال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[3].

([1]) سورة الحجرات آية 10.
([2]) سورة أل عمران آية 102 - 103.
([3]) سورة النساء آية 174 - 175.

وقال تعالى ذكره : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [1].

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2].

وقال الله تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا

([1]) سورة الحشر آية 8 - 10.
([2]) سورة الحجرات آية 9 – 10.

السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾[1].

وقال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾2.

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾[3]. وقال الله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُم﴾[4]. وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

([1]) سورة الشوري آية 36 – 42.
([2]) سورة الجاثية آية 18 – 23.
([3]) سورة محمد آية 14.
([4]) سورة محمد آية 29 – 30.

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [1].

وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: " ترى المؤمنين في تراحُمِهِمْ وتَوادِّهم كمثِل الجسد الواحد إذا اشتكى عضوٌ تداعى لَهُ سائِرُ الجسد بالسَّهَرِ والحمى ".

وقال ﴿ﷺ﴾ : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بَعْضُهُ بعضاً " وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: " انصر أخاك ظالِماً أَوْ مظلوماً فقال رَجُلٌ : يارسول الله أنره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟ قال : تمنعه من الظلم، فذلك نصرُك إياهُ " وقال ﴿ﷺ﴾ : "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمسلمِ لاَ يظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلهُ وَلاَ يَحْقِرُه، التَّقْوَى هَا هُنَا – ويشير إلى صدره ثلاث مرات – " وروينا عنه ﴿ ﷺ وآله﴾: "كُلُّ واحدٍ من المسلمين على ثغرٍ من ثُغُورِ الإسلام، فإن ترك المسلمون فاشدد لئلا يُؤْتى الإسلام من قِبَلك ". ومثل المسلم من المسلمين كمثل الرأس من الجسد يتألم لما يؤلم الرأس، ويتألم الرأس لما يؤلم الجسد.

المجتهد والمقلد والمدعي :

هذه الآيات الشريفة والأحاديث النبوية حقائق جلية مشاهدة للنفس عيانا لا تحجب عن النفوس التي تزكت، وهذه الحقائق المشاهدة تجعل كل مسلم على يقين أن الوطن هو الإسلام، لأن المسلم إما أن يكون

([1]) سورة البروج آية 10 – 16.

مجتهداً فحصل له الفلاح وهو الفوز بمشاهدة أنوار القرآن، ويكون من الراسخين في العلم كالعلماء الربانيين والروحانيين الذين سبحت أرواحهم في الملأ الأعلى. أو يكون مقلداً للعلماء الربانيين، مصدقا لهم فيما يكشفون له من الحقائق بالمثل والبيان، فإن خير الصادق أكبر طريق للعلم، والتصديق سلم لليقين، لأن التصديق تنجلي به الحقائق للنفس ، ومتى كمل الإيمان كان الإسلام أعز عزيز على المسلم، وأنفس نفيس لديه، ترخص النفس والمال في سبيل إعلائه، ويبذل كل نفيس لتجديد سنته ومعالمه.

وأما الذين يدعون الإسلام فيقولون بأفواههم ولا تصدقهم قلوبهم، فإنهم يجهلون قدر الخير الحقيقي والسعادة الحقيقية، ويكون الخير عندهم حظوظاً جاهلية من كرامة ويسار، ولذة في المال والجاه والمناصب والشهرة، والتسلط بالقوة القاهرة، واستعباد الغير بالظلم والغطرسة، وهؤلاء يرون أن روح الإسلام تمنع من هذا كله، فيقصدون الإنكار على المتجملين بالكمالات الإسلامية بالتمويه والمغالطة، حتى لا يمنعهم من غرضهم الجاهلي القبيح شيء، وهؤلاء ليسوا أعضاء مكونة للمجتمع الإسلامى، قال الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [1].

([1]) سورة أل عمران آية 7.

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِيءتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1].

وقال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [2].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًانَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِيءنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [3].

([1]) سورة فصلت آية 40-42.
([2]) سورة المائدة آية 41.
([3]) سورة الإنسان آية 23 – 29.

وقال ﷺ : "تَعِسَ عبدُ الدرهم والدينار، تعسَ وانتكس، وإذا شيكَ فلا انتقش" وقال ﷺ :" المرءُ على دين خليلِه فلينظر أحدكم من يخالل ".

طوائف أخرى من أهل الجهالة:

وهناك طائفة أخرى من أهل الجهالة لم يرد الله أن يهديهم، حرموا نور الفقه والفهم، وابتلوا بالعناد – مع سوء فهمهم – فإذا دعوا إلى الحق تخيلوه – لسوء فهمهم – على غير ما هو عليه – تنزه وتعالى – ثم يظهر لهم فساد ما تخيلوه فيظنون أن كل عالم رباني : مغرور بعلمه أو مخادع مموه طالب بعلمه هذا رئاسة، وكل ذلك مما هم عليه من ظلمة قلوبهم ونجاسة نفوسهم، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾[1].

ومن هؤلاء أهل البدع المضلة الذين يشنعون على العلماء الربانيين والأئمة المرشدين، فتراهم يمدحون أقبح الخصال وأرذل الراذئل مما تنكره العقول السليمة الكاملة وتنهى عنه الشريعة الإسلامية، ويذمون أفضل الفضائل ويشنعون على التجمل بها ويجعلون ذلك تقهقراً.

(1) سورة النور آية 40.

وهناك أنواع كثيرة من أهل النفوس المنحطة قد بينا أكثرها في كتاب : (معارج المقربين)[1] وكتاب : (النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين)[2].

إذا كوشف المسلم بأن الإسلام هو الوطن، وتحقق أن مجده وعزه بإعلاء كلمة الإسلام، وأيقن أن الله تعالى أمرنا بأن نعد لأعداء الإسلام العدة من القوة ومن رباط الخيل بقدر وسعنا، قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[3]. وذلك في كل عصر بحسبه، فيعد المسلمون من العدة ما يفوق المعدات التي أعدها أعداء الله وأعداؤنا، من عَدد – بفتح العين – وعُدد ـ بضم العين – والعدد بحرية وبرية وجوية، حتى تكون الرهبة في قلوب أعدائنا قاهرة لهم، مانعة لهم من مهاجمتنا، وبذلك يكون المسلم عزيزاً أين كان وكيف كان، وعدو الإسلام ذليلا أين كان وكيف كان، ولا يكون كل ذلك إلا باليقين الحق أن الوطن هو الإسلام.

من جهل حقيقة الوطن حرم الخيرات :

نعم، إن من جهل حقيقة الوطن فحكم أن الوطن هو الأرض التي يسكنها جهل حقيقة الخيرات، وإن أرشد إليها لم يفهمها، وبذل ما في

([1]) تطلب مؤلفات الإمام المجدد أبي العزائم ﷺ من (دار المدينة المنورة)114 شارع مجلس الشعب – القاهرة

([2]) السابق

([3]) سورة الأنفال آية 60.

وسعه لسلامة بدنه ولجمع الأموال والتمتع باللذات، وزيف كل ما من شأنه أن يمنعه عن عمل هواه، ومال أن يكون مكرماً معظماً، والسعادة العظمى عنده أن تتوفر كل تلك الآمال، وهذه هي السعادة المنشودة لمن قلدوا الإفرنج ممن شاكلوهم في النفس والأخلاق، وعدم توفر تلك الرذائل عندهم هو الشقاء كالمرض في الأبدان، وقلة المال، وعدم التمتع باللذات، وأن لا يكون منفذاً لهواه.

وهؤلاء القوم لذتهم التمتع باللذة من المأكول والمشروب والمنكوح، وقتل الوقت بالهزل واللعب من كل وجه ومن كل نحو، وهكذا ينحط الإنسان حتى تكون قيمته أقل من البهيم الأعجم لجهله بالخيرات الحقيقية والسعادة الأبدية، كل ذلك لجهله بالوطن الحقيقي، وكيف لا؟ وقد بلغ المسلم – مذ كان الإسلام وطنه – مبلغاً من العزة بالله تعالى حتى صار إذا سأل الله لباه واستجاب له، وإذا دعاه الله إلى خير سارع لمراد الله، فجعل الله الأرض ميراثاً للمسلمين، فلم يبق بحر ولا بر إلا وللمسلمين فيه سلطان، وكل ملوك الأرض أذلاء لهم حين كانت ملائكة السماء تطيعهم لأنهم أطاعوا الله، ولولا أن هذا المختصر لا يسع ذكر ما أكرم الله به سلفنا الصالح لشرحت نبذًا منها، وسأشرح ذلك في رسالة أخرى إن شاء الله تعالى[1].

ولما أن جهل المسلمون الوطن الحقيقي وحقوقه، وغرهم الحظ والهوى، وخيل لهم الشيطان أن وطن كل جماعة الأرض التي يسكنونها،

([1]) يشير الإمام عليه السلام إلى كتابه : " وسائل نيل المجد الإسلامي " وهو الكتاب المكمل للكتب الثلاثة السابقة : " الإسلام دين – ونسب – ووطن".

ودعتهم الجهالة والضلالة إلى أن كل فريق يسعى في إذلال جاره، ليكون له السلطان والقوة، ويجهل أنه قطع عضواً قويا من أعضائه التي يدفع بها ألد عدو من أخصامه الذين يتربصون به الدوائر، حتى بلغت الجهالة بأهل الحظوظ الذين أعماهم الهوى عن حقيقة الخير والسعادة إلى أن استعانوا بأعداء الإسلام على بتر أعضائهم العاملة، وإضعاف قوتهم الدافعة، وإذلال إخوتهم المؤمنين، فأنتهز أعداء الإسلام تلك الفرص، وبذلوا النفس والنفيس لخديعة أدعياء الإسلام الذين أضلهم الله على علم، وسعوا ليهلكوا أنفسهم وهم يظنون أنهم ساعون للسعادة، والحقيقة أنهم هاوون في مهاوي الهلاك والخزي.

نتائج الجهل بالوطن :

نعم، أنتجت تلل الضلالات والجهالات ما أصاب الإسلام والمسلمين، بتغير أرض طهرها الصحابة والسلف الصالح من الكفر والظلم بدمائهم الزكية الطاهرة ، وأنفسهم الملكية المنزهة، وجعلوها أرضاً مطهرة بالنور والحق مباركة بالعدل، مجملة بالمساجد والعبادات والعلم، ومشرقة بأنوار الإسلام، يفرح الملائكة بما يصعد إليهم من خالص الأعمال وجميل الأحوال ، ويضيء الملأ الأعلى بما يصعد إليه من صور أعمالهم، وأنوار تسبيحهم وتهليلهم وتقديسهم لذات الله.

صارت تلك الأرض – بعد نورها – مظلمة بالكفر بالله وعبادة غيره، والعمل بغير كتابه، جدبة من مساجد الله، خربة من العمل لله،

تتصعد منها ظلمة القبائح والرذائل فتستجير إلى الله مما حل بها، وتشكو إليه سبحانه سوء فعل من صيرها قرارة كفر وبؤرة فساد وضلالة، وتشكو إلى أشلاء مباركة ضمتها كانت تطيبها بخير الأعمال، وأرواح مطهرة قضت على تلك الأرض أوقاتاً في صفاء مع الله وعمل لوجهه الكريم، ولا تزال أنة حزنها وضجة بكائها تصغى إليها القلوب الموقنة، وتنفطر لها النفوس الطاهرة.

وها هي الأندلس وجزء جزيرة البلقان وشمال آسيا وجنوبها وأكثر سواحل أفريقيا أصبحت مغيرة الأرجاء لأن أرضها تغيرت وتغير من عليها، وكيف لا ؟ وقد قاد الطمع من فيها حتى طمع كل أهل قطر أو مجتمع أن يستقل بنفسه وينفصل من المجتمع الإسلامي، وعملوا بهذا الغرور أعمالا جاهلية، فكان ذلك موجباً لسخط الله عليهم ومقته سبحانه لهم،فسلط عليهم من مَنَّوْهُمْ بنيل الاستقلال وأغروهم على معاداة إخوتهم والخروج على إمامهم، حتى فرقوا الجماعة وأضعفوا كل فريق،ثم اغتالوهم وغيروا معالم الحق ومحوا أنوار الإسلام، وجعلوا أعزة القوم أذلة، وذلك جزاء من اتخذ عدوه صديقاً.

وَمَنْ يَجْعَلِ ٱلضُّرْ غَامَ بَازًا لِصَيْدِهِ تَصَيَّدَهُ ٱلضُّرْ غَامُ فِيمَا تَصَيَّدَا

كل ذلك للجهل بالوطن الحقيقي الذي يجب أن يبذل المسلم لحفظه النفس والنفيس، وللذود عنه كل غال ورخيص، وليس بمسلم من سعى ليعز نفسه، أو ليؤسس له ملكا أو مجداً بعدواة أخ مسلم أو جماعة

المسلمين فاستعان بأعداء الدين، لأنه بعمله هذا يجر شرا يُذهِبُ بشراره نوَر الإسلام، وضررِه سلطان المسلمين، نعوذ بالله.

فكأنه بعمله هذا جر لنفسه نفع ساعة وشقاء الأبد، وشرا شريراً على كل فرد من أفراد المسلمين، لأنه أزال قوة سلطانهم، ومحا نور دينهم، ومكن أعداءهم من ملك المسلمين، و كأنهم المعنيون بقوله تعالى : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾[1] وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ۞ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ۞ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ۞ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ۞ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ

([1]) سورة التوبة آية 55-57.
([2]) سورة المائدة آية 41.

لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[1].

أين هذا العز الذي جعله الله للمؤمنين، حين كان الإسلام وطنهم، والقرآن إمامهم، وسنة رسول الله ﴿ﷺ﴾ منهجهم، وهدى السلف الصالح قدوتهم؟ أين مسلموا الأندلس وجزائر البحر الأبيض المتوسط ومقدونيا وبلونيا وشمال آسيا ؟! وأين قوة سلطان الهند وأنوار مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ؟!وأين معاهد العلم التي كانت مشرقة بأنوار القرآن والسنة ؟! وأين تلك المساجد التي كان يذكر الله فيها ؟! ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2].

محا كل تلك الأنوار بعض أفراد غرتهم الحياة الدنيا وغرهم بالله الغرور. أنا لا أقول ذلك قانطاً من روح الله – أعوذ بالله أن أكون ممن يقنط – لكن أذكر إخوانى المؤمنين بطرق الخير ومراقي الفلاح، ومادام القرآن بين ظهرانينا، وأثر السلف الصالح معلوما لنا، فما علينا إلا أن ننهج منهجهم ونتجمل بهديهم، والله ولى المؤمنين يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويجعل لنا سلطانًا نصيراً.

([1]) سورة محمد آية 34 – 38.
([2]) سورة النور آية 36 – 38.

أسباب ما نحن فيه :

انقسام الأندلس، واستقلال كل أمير طاغ بفئة ممن انقادوا له، وخروجه على إخوته المؤمنين، واستعانة كل أمير بمن جاوره من الإفرنج، حتى آل الأمر إلى محو الأنوار الإسلامية التي أحيت أوربا من قبور الجهالة، وصارت روضة الأندلس – الزاهية الزاهرة – كهوة نار لكل مسلم أحرقت كل من فيها من المسلمين، وصارت – بعد أن كانت أرض التوحيد والعدل والفضل والحكمة والعلوم والمجتمعات الفاضلة – قرارة ظلم وعدوان وفجور وشرك وطغيان. طمع فيها أفراد في الإمارة أو الملك، ورغبوا في العزة بغير منهج الشرع، فجر ذلك عليهم الذل والهوان، وغضب الكبير المتعال، فمحاهم عن آخرهم، ورفع من بينهم نوره المقدس وصراطه المستقيم ودينه القويم، فأصبحوا بعد الإيمان به كفاراً يعبدون إنساناً ولدته امرأة !! بعد التوحيد الخالص من شوائب الشرك. ولو أنهم أجمعوا على حماية وطنهم (الإسلام) والذود عنه، ومال كل فرد منهم لإعزازه وعلوه وإعلاء سنته ومعالمه، لأعزهم الله وأذل أعداءهم، ومكن لهم في الأرض، كما مكن لمن جعلوا وطنهم الإسلام من سلفنا الصالح.

إنني عند تلك الذكرى يذوب قلبي أسى، ويتساقط ذوبه من عيني، وأتمنى أن لو كان بين الأندلس رجال حكماء علماء حلماء، أيقظوا المسلمين من رقدة جهالتهم ونومة غفلتهم، ونبهوهم إلى الشر المستطير الذي ينتجه سوء عمل من طلبوا العزة لأنفسهم وتفريق كلمة المسلمين، حتى كان

يقوم المجتمع الإسلامي بالأندلس، فيجعلون الأمر شورى بينهم، ويجعلون لهم إمامًا قائمًا يعتقد أن الإسلام هو الوطن العزيز.

أسأل الله سبحانه أن يجدد مجد الإسلام، وينظر إلى المسلمين بعين عنايته، ويجمع شتاتهم، ويلم شعثهم، إنه مجيب الدعاء.

لا أبعد بك أيها المخلص – أيدني الله وإياك بعنايته، وأمدني وإياك وإخوتي المؤمنين بفضله العظيم – ها هي مراكش قام أميرها فقلد الإفرنج وحبس أخاه طمعًا في الإمارة، واستعان بأمة فرنسا فأمدته بالمال والسلاح، فتفرقت الكلمة، فبذل ما في وسعه حتى سفك دماء رعاياه، وأضعف قوته، وكيف لا وقد بتر أطرافه ومزق أعضاءه ؟ فخرج عليه أخوه في مجتمع، فتقابل المسلمون بالمسلمين حتى صارت الدماء أنهارًا، وضعفت القوة، وضاعت الحرمة، وآل الأمر بتمكن العدو منهم، وإطفاء تلك الأنوار الإسلامية، ومحو العزة الإيمانية.

وهكذا قام والي الجزائر وتونس، فطمع كل واحد منهما أن يكون ملكًا مستقلا، واستعان بمن يسرهم ضعف قوة المسلمين ومحو الإسلام، وحصل ما تعلمه – أيها الأخ الصالح البار – من محو سلطان المسلمين.

وقامت فئة العرابية [1] بمصر ورجال المهدية بالسودان، طمعًا في تفرقة كلمة المسلمين وإضعاف سلطانهم، فكان ما تعلمه وتراه.

وبطون التاريخ الناطقة بالحق المبينة للحقيقة شاهد عدل، ولسان صدق يعرفك ياأخي كيف حجبت تلك الشمس المشرقة على كل الآفاق

([1]) هذا هو رأي الإمام أبي العزائم عليه السلام نقلناه للأمانة العلمية.

الأرضية، وكيف أصبح أهلها يتيهون في ظلمات لا يهتدون ؟ يرون أن أعداءهم على الحق وعلى النمط الأوسط، وينتظرون العزة بالسير على منهجهم. والعز الحقيقي لا يكون للمسلمين إلا بالعمل بشرائع الإسلام، والسير على نهجه القويم، ومن لم يكن مع الله فكيف يكون الله معه ؟ أيدك الله بروح منه، وأمدك بما فيه سعادتك وتجدد مجد الإسلام.

لم يلم هذا الداء بالمجتمع في هذا العصر الحاضر، بل قد ألم في عصر الشباب، لولا أن الله كان مع القائمين بالدعوة إذ كانت لهم معذرة شرعية تدعوهم إلى الخروج على القائمين بالأمر.

فتح باب تلك الفتن منذ سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تبارك وتعالى عنه، وشرار الفتنة كان ينبجس من خلاله نور العمل لله تعالى، لأن القائمين بالفتنة قاموا بها معتقدين أنهم عمال لله وأنصار للحق، بقدر ما وصلت إليه فهو مهم، وبلغته مداركهم، وكان إذ ذاك قد أزال الله ملك الرومان وملك فارس عن آسيا وأفريقيا. ومع تطاير شرر تلك الفتنة لم يختلج في خلد رجال الروم ولا رجال فار س، أن ينتهزوا فرصة تفريق الجماعة لأن العزة الإلهية التي جعلها الله للمسلمين ملأت قلوب الروم وغيرهم – من الأمم التي فتحها الصحابة رضوان الله عنهم – رهبة من الله ورسوله ومن المؤمنين.

ثم أسعر نار الفتنة – بعد سيدنا عثمان ﷺ – قوم تغالوا في دين الله وخرجوا على طاعة الإمام الأعظم – من الخوارج – وآخرون من أهل

الحق بلغ بهم اجتهادهم إلى طلب إقامة الحد على من قتلوا سيدنا عثمان بن عفان ﷺ، فكان ما كان مما لا يخفى على مطلع.

ومع ذلك كله كانت رهبة الإسلام وعزة المسلمين تتصدع لها قلوب ملوك أوربا وتقشعر لها جلود ملوك الهند والصين وغيرهما، ولم يتوهم ملك من ملوك الأرض – مما أراهم الله من عزة المسلمين، وآيات الله التي أظهرها على أيدي أصحاب رسول الله ﷺ – أن يتنفس نفساً يخالف ما يريده رجال المسلمين.

ثم انمحت تلك الفتنة، وأخذ الإسلام في دوره الأول ؛ فقام المسلمون يجاهدون في سبيل الله، حتى كانت الجيوش الإسلامية في عهد الصحابة تخوض عباب البحار العظيمة، وتمخر السفن الحربية الإسلامية في مياه البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندي، ففتحوا أكثر الجزائر المنتشرة بتلك البحار، وانحدروا كالسيل المنهمر إلى مياه القسطنطينية، وهاجموها حتى كادت تفتح أبوابها فتجددت الفتن وقامت كالليل المظلم، ولكن الله سبحانه كان مع المسلمين ولهم، وكان المخطيء منهم له أجر والمصيب منهم له أجران، وكان ما كان مما لا يخفى.

ثم أشرقت أنوار الإسلام بعد، وقام المسلمون قومة رجل واحد، فاتسعت الفتوحات حتى فتحوا معظم جنوب أوربا وجميع سواحل أفريقيا، وجرت تلك السفن الحربية في عباب المحيط الهندي، فأشرقت أنوار الإسلام على بلاد الهند والصين والجزر المنتشرة بالمحيط الهندي، وأخذ الإسلام في

دوره الأول ورجاله في إقبالهم على الجناب المقدس، حتى تغير بنو أمية وتركوا المنهج القويم والصراط المستقيم، فوكلهم الله إلى أنفسهم، فقام لهب الفتن المدهمة، سنة الله التي قد خلت من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

ودامت تلك الفتن حتى انتقل الملك من بنى مروان إلى بنى العباس، قال الله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

وهكذا سنة الله في خلقه، يِعُزُّ بالحق من تمسك بالحق، ويذل الله بالباطل من سلك غير سبيل المؤمنين، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[2].

قام بنو العباس – وقد نظر الله إليهم – فاهتموا برفعة شأن المسلمين بالعلم والصناعات والفنون والمعدات، ففتحت كنوز القرآن، وسطعت أنوار السنة على الألباب، وجالت الأفكار في أسرار الكائنات،

(1) سورة آل عمران آية 26.
(2) سورة النساء آية 115.

كما أمر الله تعالى وأمر رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾، فتح الله خزائن فضله وأبواب جوده وبره، وقام العلماء لخدمة العلم [1] والفنون..

البابُ الثانى

فى العلوم ونيل الإنسان كماله وسعادته

الفصل الأول

العلوم

تعريف العلوم إجمالا :

([1]) لقد كرم الله العلم فجعله منبرا للهداية ، وسندا للعقيدة في قلوب المسلمين ، فكانت أول آيات القرآن تدعو إليه ، وبسط فيه الكثير من حقائقه ، واستنهض عقول المسلمين لتعمل وتبحث وتفكر لتثمر وتنتج.
ولقد كانت العلوم ثمرة جهود شعوب كثيرة متباينة الأجناس واللغات ، ولكن الإسلام صاغها في وحدة روحية أساسها : الإسلام وطن.
وهكذا يتناول الإمام أبو العزائم في الباب الثانى العلوم ، لتبين لنا أن العلم وطنه الإسلام ، لا النعرات الجنسية والقبلية ، وأن علماء المسلمين جميعاً ـ مهما اختلفت ألوانهم وألسنتهم ـ هم أهل كل وطن إسلامى ، وبذلك قام علماء المسلمين يوزعون العلم هنا وهناك حتى دهش العالم ، وأقر بفضلهم وحضارتهم خصومهم الألداء.
= عرف المستعمرون هذا وأكثر من هذا فعملوا جهدهم ليحجبوا نور هذه العلوم عن البصائر والأبصار ، فأحيوا لنا وفى أوساطنا الحضارة الأشورية ، والحضارة البابلية ، والحضارة الفينيقية ، والحضارة الفرعونية ، والحضارة الهندية ، ثم أخذوا المسلمين وجندهم ليشيدوا بهذه الحضارات البالية ، ويقيموا لذكراها الاحتفالات ، ويذكروا أمجادها ورجالها ، وكأن الإسلام خوى من الرجال ، وانعدمت فيه البطولات !!!.
لم يكتف الاستعمار الغادر من إثارة النعرات والعصبيات الجاهلية في عالمنا الإسلامي ، حيث أثار القومية الطورانية في تركيا ، والقومية الفارسية في إيران ، والقومية البربرية في المغرب ، والقومية الباكستانية فالباكستان ، والقومية الجارية في أندونسيا...
وكل هذه النعرات رعاها الاستعمار ليهدم بها بنيان الإسلام ويمزق شمل المسلمين.

وهنا يجدر بي أن أبين العلوم التي استنبطها العلماء من القرآن المجيد ومن سنة سيد المرسلين سيدنا مُحَمَّد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وقبل أن أتكلم على أنواع العلوم المستفادة من القرآن أعرف العلوم إجمالا، وإن كان سبق لى في كتاب : (معارج المقربين) بيان مجمل عن العلم والإيمان شرحت فيه حقيقة العلم والإيمان، إلا أنه كان في موضوع تكميل المريد السالك لطريق الآخرة، فكان الكلام فيه على سياق مقتضى الحال.

وهنا أبين الموضوع بياناً مستوفيا، لأن القرآن الشريف أحاط بأنواع جميع العلوم بأقسامها نظرية كانت أو عملية، فقد يندمج نوع من العلم بأكمله في آية واحدة، فأجمل علم تدبير النفس والمنزل والمجتمع بقوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾[1]

فجمعت تلك الآية القصيرة الإخلاص للجناب المقدس، والبر والصلة، وحسن المعاشرة للزوجة والأولاد والوالدين، والإحسان إلى الجيران، واللطف والرحمة والإحسان لعامة الخلق. وكل جملة منها تحتاج إلى حمل بعير من الكتب لشرح تلك العلوم وبيان جزئياتها، وهكذا ما من علم من العلوم إلا وهو مستنبط من القرآن أو مأخوذ بصريح العبارة منه، وقد أشرت إلى أن جميع العلوم ضرورية للمسلم بل مفروضة عليه، لأن ما فرضه الله تعالى

([1]) سورة النساء آية 36.

عليه من العقيدة والعبادة والأخلاق لا يكمل حقيقة إلا بتعلم جميع العلوم،قال رسول الله ﷺ : "طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلَّ مسلمٍ ".

العلوم :

العلوم من حيث هي كمال نفسى منقوش في القوة العاقلة يكون به صاحبه عالماً، وغايتها التميز عن المشاركات في النوع والجنس بالسعادة الأبدية. ولا شبهة أن المسلم من حيث هو مسلم في حاجة شديدة إلى طلب المراتب الموجبة للكمال ليسعد بالفوز العظيم والرضوان الأكبر. وتلك العلوم وإن كان للإنسان بها عناية قبل الإسلام، فإن بعض أنواعها اعتنى به بعض أفراد من الإنسان بطريق الكسب، لكنها في جملتها بقيت ناقصة غير مستوفاة، حتى أنزل الله الكتاب العزيز، وفرض على كل مسلم النظر في ملكوت السموات والأرض، والبحث فيما حوله والعمل للدنيا والآخرة ؛ فصار العلم عاما لكل مسلم، وموردا عذباً ومنهلا سهلا.

الطريق إلى استفادة العلوم :

1 – الوحي بمراتبه.
2 – الإلهام.
3 – الفيض المنزل في النفوس القدسية.
4 – التجربة المستفادة بالوقائع.
5 – الأقيسة.

والعلم ضروري ومكتسب وقياسي. والقياسي : ما خيلته التصورات في الأقوال وهي مواد النتائج التي هي الغايات، ولذلك جعل إما تصوراً وهو حصول الصورة في الذهن، أو تصديقاً وهو الحكم، أو العلم بالحكم به على تلك الصورة بإيقاع أو انتزاع.

ومواد الأول أقسام : (1)الألفاظ (2) والدلالات (3) الكليات الخمس (4) الأقوال الشارحة بقسمي الحد والرسم.

ومواد الثاني المنقسمة إلى : (1) حمل (2) وشرط (3) ومحمول (4) ومعدول (5) وغيره (6) وموجهات (7) وتعاكس (8) وشروط (9) ونتائج، وهي إما يقينية أو غيرها من التسعة، والمتكفل بهذا هو المنطق، وهل هو من مجموع الحكمة أو أحد جزءيها أو آلة لها ؟ خلاف.

بيان آخر : أن يقال : إن العلم إما مقصود لذاته، وهو تكميل النفس في قوتها العلمية، أى : النظرية الاعتقادية، والعملية وهو غاية الأول، أو لغيره، وهذا هو علم الحكمة. ثم هذا إما أن يكون موضوعه ليس ذا مادة وهذا هو الإلهي، أو ذا مادة وهو الطبيعي، أو ما من شأنه أن يكون ذا مادة وإن لم يكن وهو الرياضي، والثلاثة علمية، أو يكون البحث فيها عن تدبير النفس من حيث الكمالات وهو تهذيب الشخص، أو من حيث حصر الأقوات التي بها حفظ المهج وهو تدبير المنزل مع نحو الزوجة والولد ، أو من حيث حفظ المدينة الإسلامية الفاضلة التي بها النظام وهو الحكمة العملية، علم السياسة والأخلاق.

والأول أعم مطلقاً، والثاني أخص منه وأعم من الثالث لاختصاصه بالملوك إن تعلق بالظاهر، وبالقطب الجامع إن تعلق بالباطن، وبالأنبياء إن تعلق بهما، وكلها عملية أو مقصودة لغيرها، ثم المقصود لغيره أيضاً إما موصلا إلى المعاني وتكون الألفاظ فيه عرضية، دعت ضرورة الإفادة والاستفادة إليها وهو علم المنطق، أو بواسطة الألفاظ ذاتاً أو تكون الألفاظ فيه ذاتية وهي العلوم الأدبية. ثم الرياضي إن نظر في موضوع يمكن تلاقي أجزائه على حد مشترك فالهندسة، وإلا فالهيئة. وكلٌ إن كان قارَّ الذات منفصل الأجزاء فالعدد، فإن اتصل فالزمان،وإلا بأن لم يتصف بالوصفين فالنغمات.

وقد ألمعنا إلى جمل من هذا في كتاب : (معارج المقربين)، ولما كان كلام الله تقدست ذاته هو مصدر كل خير للدين والدنيا والآخرة وبه سعادة كل حي، فهو النور الذي تبلغ به النفس أرقى كمالاتها وغاية سعادتها منفردة ومع غيرها، أنزله الله تعالى تبياناً لكل شيء، جامعاً لما لا يمكن للعقول أن تدركه وإن كملت، من معاني كمالاته سبحانه وتعالى وعجائب قدرته وغرائب حكمته، وما يحبه سبحانه من عباده من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات، مبيناً للنفوس مالا يمكن أن تشرف عليه ولو بلغت المنزلة القصوى من التزكية، ومن الرياضات، مما يشرح أسرار معاني أسمائه تعالى وصفاته، وحكم أحكامه، وسر مراده سبحانه في إيجاد العوالم الروحانية والجسمانية، وما خص به النوع الإنساني من الكمال الروحاني، وما أعده لمن هداهم وأعانهم من أنواع الملاذ الروحانية والجسمانية والنعيم الأبدي، وما

أعـده سـبحانه لأهـل الجهالـة والضـلالات والجحـود والطغيـان، مـن ألـيم سخطه، وعذاب غضبه، وسعير عقابه، ونار العذاب.

كل تلك المعانى لا يمكن لكل نفس وإن زكت أن تشرف عليه إلا بعد التصديق بالقرآن، وتلقيه بالتسليم.

بين القرآن كل علم ضرورى للإنسان وكمالي له، ولا عجب إذ ظهرت نتائج القرآن في المجتمع الإنساني بأجمعه ؛ فإن أسرار الكون لم تفتح كنوزها إلا بعد القرآن وانتشار أنواره، وما من علم من العلوم إلا وهو من القرآن أخذ، ولأجل القرآن تعلمه العلماء، وبالقرآن سارع إلى تدوينه الحكماء. ومعلوم أن للقرآن ظاهراً، وباطناً، وَحَدّاً، ومطلعاً، ولكل سر من هذه الأسرار علوم تكشف لمن وفقهم الله تعالى.

ولما كان سر باطن القرآن ونور حَدَّه وكمال مطلعه لا يحيط بجميعها إلا أفراد اصطفاهم الله تعالى فورثهم علوم رسوله ﷺ وهم الراسخون في العلم الذين آمنوا بالقرآن كله، سر قوله تعالى : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1] وقوله ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ مَن عمِلَ بِما عَلِمَ وَرَّثَه الله عِلَم ما لَمْ يَعْلَمُ ﴾[2].

(1) سورة آل عمران آية 7.
(2) رواه ابن ماجة و المنذري.

وهذا بديهي،لأن ظاهر القرآن يفمهم بنور العقل، وباطنه يفهم بنور الإيمان، وَحَدُّه يفهم بالنفس الملكية، ومطلعه يفهم بنور النفس القدسية، وهو الفقه عن مشاهدة اليقين، أو عين اليقين، أو حق اليقين.

ولما كانت تلك الأسرار القرآنية العلية من الفضل العظيم الإلهي، والفيض الأقدس الربانى، كان حصرها يعسر،وبيانها لغير أهل مقامات اليقين لا يمكن، وقد حصر بعض من شهد الملكوت بعيون الإيمان العلوم التي تستفاد من مراتب الوجود ونسبها، وما ظهر في كل مرتبة من الآيات والأسرار والخواص المفاضة على المرتبة التي هي دونها، وكان حصرها على قدر منزلته، فكان ما شهده ثمانية وأربعين ألف علم، ولا يزال في مزيد إذا ووجه بالعزة، ثم أشرف بروحه الكاملة على الجبروت وشهد غوامض أسرار تلك العلوم التي لا تحصى ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[1]. فسبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[2]. هذا وظاهر القرآن هو المكلف به شرعاً والذي تعبد الله به عباده، حتى إذا عملوا بما علموا، وَرَّثَهُم من أسرار غيبه وأنوار تجلياته ما به تسكن نفوسهم إلى حضرته العلية، وتطمئن قلوبهم إلى ذكره سبحانه.

فكل العلوم الكونية الضرورية لبقاء الإنسان معافى في بدنه،آمنا في سربه، ميسرا له قوته، مأخوذة من ظاهر القرآن.

([1]) سورة إبراهيم آية 34.
([2]) سورة الزمر آية 67.

وإليك بيان أنواع العلوم المأخوذة من القرآن إجمالاً، على أنى أسأل الله تعالى أن يمدني بروحانية رسول الله ﷺ ويعيننى أن أفصَّل مجمل كل علم من تلك العلوم في كتاب آخر إن شاء الله، مؤيدا كل علم بمأخذه من كتاب الله تصريحا، حتى يتنبه إخواني المؤمنون، وهنا أكتفي بالإجمال عن التفصيل.

أنواع العلوم الإسلامية :

العلوم الإسلامية كثيرة ويمكن حصر كلياتها في ستين علما.

التقسيم الأول

أولا: علم الأدب

فإن العلم إن كان موضوعه الألفاظ والخط، ومنفعته إظهار ما في النفس الفاضلة، وغايته حلية اللسان والبيان فالأدب.

وأنواعه وأجناسه عشرة، لأنه إن نظر في اللفظ المفرد من حيث السماع، فاللغة (1)، أو الحجة فالتصريف (2)،أو في المركب فإما مطلقاً وهو المعاني (3)، إلا أن تتبع تراكيب البلغاء، وإلا فالبيان (4)، أو مختصا بوزن، فإن كان ذا مادة فقط فالبديع (5)، أو صورة، فإن تعلق بمجرد الوزن فالعروض (6)، وإلا فالقافية (7)، أو فيما يعم المفرد والمركب معاً وهو النحو (8)،أو بالخط فإن موضوعه الوضع الخطي، فالرسم (9)، أو النقل، فقوانين القراءة (10).

ثانيا : علم الذهن

إن كان موضوعه الذهن، ومنفعته حلية الحدس والفكر والقوة العاقلة وغايته عصمة الذهن عن الخطأ في الفكر فالميزان (1)، وهو المعيار الأعظم الموثق لبراهين العلوم الكونية، فلا ثقة بعلم من لم يحسنه فيها.

وقد طعن على المنطق قوم جهلوا ثمرته، التي هي ضبط ما يتعلق بنظامات المجتمع الإنساني، ولا دخل له في الشرائع بعد تقريرها بالمعجزة

والعقل، فالشريعة حاكمة عليه، وجهل من رآه حاكماً عليها فذمه في موضوعه.

وقد ثبت في الحكميات أن الكلي إذا حكم عليه بشيء تبعه جزئيه، وبديهي أن النبوة كلي أجمع على صحتها الأئمة، فإذا لم تجد حجة لبعض جزئيات جاءت بها كتخصيص رمضان بالصوم، والتجرد عن الثياب عند الإحرام في الميقات، كان برهانها القطع بالحكم الكلي، وهو صدق من جاء بها، وأجزاؤها تسعة أو عشرة، قدمنا الإشارة إليها سابقاً إجمالا بحسب اللائق هنا.

أما إذا نظر فيما جرد من المادة مطلقاً كما مر، وكانت منفعته صحة العقيدة، وغايته حصول سعادة الدارين فالإلهي (2)، أو نظر فيما له مادة في الذهن والخارج، فإن كان موضوعه البدن، ومنفعته حفظ الصحة، وغايته صون الأبدان من العوارض المرضية فالطب (3)، أو أجزاء البدن، ومنفعته معرفة التركيب، وغايته إيقاع التداوي على وجهه فالتشريح (4)، أو نظر في النقطة وما يقوم عنها من مجسم أو مخروط وكرة فالهندسة (5)، أو في تركيب الأفلاك، وتداخلها، ومقادير أزمانها فالهيئة (6)، ومنفعتها معرفة المواقيت، وغايتها إيقاع العبادات في أوقات أرادها الشارع، وجمعنا بينهما لأن الأول مباديء الثاني. أو فيما يمكن أن يكون ذا مادة، وإن لم تكن، فهو المعروف بالرياضى (7)، وقد عرفت أقسامه، أو كان نظره فيما سوى الإنسان، فإن كان موضوعه الجسم الحساس – غير الطيور – فالبيطرة (8)، أوهى، فاليزردة (9)، أو موضوعه الجماد، فإن كان موضوعه الجسم النباتى،

فهو علم النبات (10)، ويترجم بالمفردات. وعلم الزراعة (11) وأحوال الأرض (12) ويترجم بالفلاحة. أو معدن فإن نظر في الطبيعى منه، فعلم المعادن (13) بقول مطلق. وتقسيمها إلى سائل وتام، وجامد، ومنطرق، وتقسيمها في أنواعها، وأجناسها، وأثمانها، وخواصها،ومكانها، وزمانها، أو المصنوع فعلم الكيمياء (14). فالحكمة الأولى (15) والحكمة الثانية (16).

ثالثًا : ما يعلم بأمور ذهنية تستنبط من دال خارج

ومن العلوم ما يعلم بأمور ذهنية، تستنبط من دال خارج كالفراسة (1)، فإنها استدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن. أو تستنبط من دال باطن على ظاهر، كعلم التعبير (2) فإنه الاستدلال بمشاهدات النفس، عند خلوها، وانقضاء الشواغل على ما يقع لها في الخارج. أو يستنبط من أمور خارجية المادة كعلم الهيئة (3)[1]. أو من أمور باطنية كعلم المنطق (4). ومنها ما هو استدلال بعلوي على علوي، كخواص الكواكب (5)، ونسبتها لبعضها. أو بعلوي على سافل كالأحكام النجومية (6)،أو بسفلى على مثله كالشعوذة (7)، والسيميا (8)، والسحر (9)، أو استعانة ببعض الأجسام على بعض، بشرط مخصوص، نحو زمان ومكان كعلم الطلسمات (10).

[1] علم الهيئة هنا يستنبط من أمور خارجية ، بخلاف المذكورة في البند ثانيا فإنها ذهنية.

وقـد يكـون النظـر في المـواد اللطيفـة لإصـلاح البصـر فالمنـاظر (11)،أو للوصـول إلى ارتسـام شـيء في شـيء فـالمرايا (12)، وهـو علـم التصوير الشمسي. أو المواد الكثيفة لقيام الأمكنة فعلم المعاقد (13). أو لتعديل الخطوط والمقادير فالمساحة (14) أو لتعديل ما يعلم به المقادير فعلم الموازين (15) كالقبان. أو القدرة على حركة الجسم العظيم،بلا كلفة فجر الأثقال ومقاييس الماء (16) ويكون ذلك بفن البخار والكهرباء. أوفى تحريك جسم في قدر مضبوط من الزمن فعلم السواقي (17) أو فن به يقوى على طريق قهر الظلمة المشركين فعلم اختراع آلات الحرب (18) وكل ذلك واجب شرعاً إما كفائي وإما عيني، أو مُرغَّب فيه شرعًا، وقد يحرم إذا قصد به غير وجه الله تعالى.

رابعاً : ما يستنبط باستخدام الذهن مادته الخارجية العلوية

وقد يستنبط باستخدام الذهن مادته الخارجية العلوية كالريح (1)، والتقاويم (2)، والمواقيت (3)،أو السلفة كالنيرنجات (4)،أو المركبة منهما كعلم الرصد (5)، وتسطيح الكرة (6). والعلم الذهني إما أن ينظر في العدد، وهو الحساب(7)، وينقسم إلى ناظر في المعاملات، وهو المفتوح (8)، أو المجهولات من مثلها وهو الجبر (9)، أو من معلومات كالتخت (10)، والرقم (11)، أو إلى تركيب البسيط وهو علم التكعيب (12).

أما القصب والدراهم فمن المعاملات (13)، وكذا الصبرات (14)، وإن تعلق بأعضاء مخصوصة فحساب اليد (15).

خامساً : الشرعي

الشـرعي المسـترعى بالقـول المطلـق والاصـطلاح المخصـوص، وإلا فالعلوم كلها ذهنية، من حيث افتقارها إليه.

التقسيم الثاني

ولنا ضابط غير هذه وهو أن مدار العلوم :

أولاً :علم الأذهان

وأصول علومها خمسة عشر علما، المنطق (1)، والحساب (2)، والهيئة (3)، والهندسة (4)، والحكمة الأولى (5)، والثانية (6)، والإلهيات (7) ، والطبيعيات (8) ، والفلكيات (9)، والسماء (10)، والعالم (11)، والأحكام (12)، والمرايا (13)،والنغمات (14)، وغيرها، كالصناعات الخمس (15).

ثانيا : علم اللسان

وأما اللسان،وأصول علومه من اللغة (1)، والمعاني (2)، والبيان (3)، والبديع (4)، والعروض (5)، والقافية (6)، والاشتقاق (7)، والنحو (8)، والصرف (9)، والقراءة (10)، والصوت (11)، والمخارج (12)، والحروف (13)، وتقسيم الحروف (14)، وتوزيع اصطلاحات الأدب (15).

ثالثا: علم الأبدان

وأصول علومها أنواع : الطب (1)، والتشريح (2)، والصياغات (3)، والسباحة (4)، وتركيب الآلات (5)، والكحل (6)، والجراحة (7)،

والجبر (8)، والفراسة (9)، والنبض (10)، والبحارين (11)، والأقاليم (12)، والتأثيرات الهوائية (13)، والملاعب (14)، والسياسة (15)،

رابعاً : علم الأديان

وأصول علومها : (1) التفسير للكتاب والسنة، (2) الرواية،(3) الدراية،(4) الفقه، (5) الجدل، (6) المناظرة، (7) الافتراق، (8) استنباط الحجج ، (9) أصول الفقه، (10) العقائد، (11) أحوال النفس بعد المفارقة، (12) السمعيات، (13) السحر للوقاية ، (14) ضبط السياسات من حيث إقامة الحكم، (15) العلم بالصناعات الميسرة للأقوات.

فهذه ستون علما هي أصول العلوم كلها، وإن كان تحتها فروع كثيرة، ويتداخل بعضها في بعض – وإن بعد في الظاهر – وكلها كمالات للمسلم، لأنها وسائل لفهم معاني القرآن المجيد، وقد بينها كتاب الله تعالى، وحث على النظر في الكونيات علويها وسفليها.

وما فهم المسلمون من أسرار القرآن إلا بقدر مخصوص، لأن أحداً لا يمكنه أن يحصل أسرار آية واحدة منه، ولو استنفد جميع عمره إلا إذا علمه الله تعالى، قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾[1]. فسبحان من لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون صفته.

([1]) سورة البقرة آية 282.

وهذه العلوم لم تكن نظرية عملية قبل الإسلام بوجه من الوجوه، حتى ظهر الإسلام، فأشرقت أنواره القدسية على العقول والأفكار والقلوب والأرواح، وتنافس المسلمون في العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ، فبحثوا، ونقَّبوا، ونظروا، وعملوا، واخترعوا وابتكروا خدمة لكتاب الله، وعملا بسنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾،وقام منهم الدعاة في كل أقطار الأرض فملأوا الأرض بأنوار الحكمة العملية والنظرية، وقام كل فرد من أفراد المسلمين بعد تحصيل ما يجب عليه من العلوم ممتازا بعلم من العلوم التي صرف نفيس وقته فيها، فكان منهم الطبيب النطاسي، والحكيم البارع، والفقيه المستنبط، والسياسي المحنك، والمخترع المدهش للعقول، والزاهد، والعابد، والعارف، والورع، مما لا يكاد يحصى ولا يعد. وانتشر هؤلاء العلماء في كل الأنحاء، فأيقظوا العالم أجمع من الجهالة، كل ذلك بما سرى من روح القرآن في أبدانهم، وأشرق من أنواره على قلوبهم، وتناولته العقول من طهور راحه، فكانت العقول منكسفة شموسها، والأفكار محجوبة في ظلمات الجهالة.

الفصل الثاني
نيل الإنسان كماله بالقرآن وسعادته بالإسلام

جاء ﷺ بالنور المبين، والهدى والفرقان، فعلم الناس أن الله هو الحق الأحد، وأن من سواه وما سواه عِبَادٌ مقهورون بقهره، وعوالم مربوبون بعزته.

فكل العلوم التي أظهرها الإنسان في هذا العصر، هي نتائج النهضة الإسلامية المباركة، إذ كان المجتمع الإنساني قبل الإسلام هاويا في الحضيض الأسفل، لم يبلغ رُقِيُّهُ مبلغ كمال بعض أنواع الحيوانات، التي تتفاوت كالنمل والنحل والقردة والنسانيس، وذلك لأن المجتمع كان يمثل بَرَّيَّةً يسكنها أنواع كثيرة من الوحوش، والغزلان، والطيور، فكان قوت القوي من الضعيف ظلما.

وكانت قواهم العقلية منصرفة إلى التسليم الدال على فسادها، فإن منهم من كان يقدس الأنهار، ومنهم من كان يقدس الأفلاك، ومنهم من كان يقدس الحجر، ومنهم من كان يقدس البقر، ومنهم من كان يقدس الملوك، ومنهم من كان يَدَّعِي أن ولدا ولدته امرأة صار إلها فعبدوه، أو اتخذوه ابن الإله، أو حل فيه الإله.

هذا ما كان عليه المجتمع، حتى أنقذهم الله بنوره المحمدي، فتحقق كل مسلم أن ما عدا الإنسان مُسَخَّر للإنسان، وأن الإنسان هو النوع

الوسط الذي خلقه الله تعالى وجعله خليفة عنه سبحانه، والمقصود بالحياة الأبدية، فنشط الإنسان من عقاله، وعرف قدر نفسه في هذا الكون، وبمعرفته نفسه عرف ربه، فقام يستخدم ما كان يقدسه ويعبده من دون الله.

لم يرتق أهل أوربا إلا بعد أن تَخَلَّوْا عن دينهم وقلَّدوا رجال العلم والعمل من المسلمين، فيما جَمَّلَهُم الله به من العلوم القرآنية. وبالعكس، فالمسلمون انحَطُّوا قدراً لما أن تهاونوا بأحكام دينهم. وما على العاقل المنصف إلا أن ينظر نظرة مفكر لينظر فيرى الإفرنج تقدموا ماديا بترك دينهم، والمسلمون تأخروا بإهمالهم أحكام دينهم.

ولو أن المسلمين حافظوا على ما كان عليه السلف لدام لهم المجد الأول والعزة، قال الله تعالى : ﴿ وَلله العِزَّةُ ولِرسُولِه وَلِلمُؤْمِنينَ ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [2].

قلنا : إن أهل أوربا قد ارتقوا، ولكن لا تنس أن ما بلغه الإفرنج من الفنون والصناعات والتفنن في قبائح السياسات والرذائل الناتجة عن الأطماع وحب البقاء والذات، لم يكن يكفل النفس ويؤهلها لنوال رقيها

(1) سورة المنافقون آية 8.
(2) سورة النور آية 55.

وسعادتها الأبدية، ولكنه يجعلها تتدهور في حضيض الأسفلين، وتتسفل إلى مراتب الوحوش الضارية، لأن تلك الفنون والصناعات المراد بها طمع أشعبي في كل موجود من بني الإنسان غير أمتهم، يجعل الإنسان شيطانًا وأشر، ووحشًا مفترسًا وأضر، ويجعله بعيدًا عن التشبه حقا بأحباء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

فكيف لا ؟! ولو أن تلك العلوم والصناعات أنتجت تلك الثمرة لما داموا – مع هذا الذي يسمونه تقدماً – على اعتقاد ألوهية المسيح ابن مريم الذي لم يعلم له أب، وشيدوا لهذه العقيدة المعابد، وبذلوا نفائس أموالهم ونخبة أفرادهم لدعوة بني الإنسان لاتخاذ ولد ولد بسوريا من امرأة بارة بدون والد إلها، تلك العقيدة التي لا يسمعها من فم الداعي إليها إنسان – جاهل بالصناعات والفنون ولكنه زكي النفس بصير القلب – إلا اقشعر جلده من سماعها، إكباراً لمن أبدع هذا الكون أن يكون إنساناً ولدته امرأة، فما زادتهم فنونهم وصناعتهم إلا انحطاطا عن درجة الإنسانية.

بلوغ الإنسان غايته بالعمل بالقرآن :

ظهر لنا أن الإنسان قبل القرآن كان أقل من البهائم الراتعة، وإن تفنن في اختراع ما ينفعه وما يدفع عنه ما يضره، فإنه كان في الحضيض الأسفل من مراتب الوجود، أقل من البهائم رتبة، وهو النوع الذي خلقه الرحمن على صورته،ذلك لأن البهائم لا تنقاد مذللة إلا بالقوة القاهرة.

والإنسان قبل القرآن انقاد بقوة فكره وعقله، واختار الإنسان مثله فجعله إلها يُعْبَدُ، أو لصورة صنعها بيده واتخذه إلها.

هذا ما كان عليه الإنسان قبل القرآن، ولكن أنوار القرآن وأسرار السنة جعلت الإنسان كاملا ظاهراً وباطناً، مكملا حسا ومعنى، فقام يعمل للدين والدنيا والآخرة ، فاهتزت أرض القلوب وربت، وبارك الله فيها، وأنزل عليها من سماء فضله ماءً أحياها فتنافس الناس في العلم، وخدموا السنة والملة والجماعة، وصار الإنسان عالماً بمنزلته الحقيقية في الوجود، وهي أنه خليفة عن ربه سبحانه وتعالى، سخر له كل ما في السموات وما في الأرض.

ولكن تركوا الاعتصام بالقرآن، واتبعوا حظوظهم، فقام كل وال في ولايته يطلب استقلاله بملك ما هو مُولًّى عليه ومن هم مُوَلًّى عليهم، فمنهم من كان يسمى نفسه عضد أمير المؤمنين، أو قسيم أمير المؤمنين، حتى أنسوا من نفوسهم القدرة على الخروج على الإمام، أو أمن جانبه إن انفصلوا عنه، فمزقوا جسم المجتمع تمزيقاً، فشقوا عصا الطاعة، وغرهم خديعة أعداء المسلمين فذلوا، وقام كل أمير من الأمراء يريد إضعاف قوة جاره، حتى سلط الله عليهم من كانوا لا يخطر على قلوبهم أن يكونوا في أمن وهم في حصونهم في بلادهم من هجمات المسلمين. أعوذ بالله من غضب الله، وأعوذ بوجهه الجميل من معصية تغير النعم، ومن مخالفة لأمره المقدس تدِيلُ الدول.

فهجم الإفرنج على المجتمع الإسلامي في عقر داره هجماتهم المسماة بالحروب الصليبية، فهجموا على المسلمين على غرة منهم وهم طوائف متفرقون، وجماعات يكيد بعضهم بعضاً غافلون عن كيد أعدائهم. ولكن الله سبحانه بشرنا في كتابه، قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [1].

فاستيقظ المسلمون من نومة الغفلة، وقاموا فصدوا هذا السيل المنهمر بعد أن تمكن من بلاد المسلمين، فكان هجوم الحروب الصليبية داعيا إلى توبتهم، فنظر الله إليهم وأمدهم وأعزهم، فرجع الإفرنج وهم يعتقدون أن المجتمع الإسلامي لا يمكن أن يؤخذ قهراً ولا يُتَمَكَّن منه جبراً، ولكنهم علموا كيف يكيدون، وتعلموا كيف يخدعون، وانهزموا شر هزيمة. ولكنهم اغتنموا كتباً علمية، وإن رجعت روح الإسلام تسري في أجساد ضئيلة، ونوره يشرق لآفاق تكاد تكون كليلة، والله يؤيد بنصره من يشاء. وهكذا اعتورت الأدوار هذا الجسد الطاهر المقدس، وهذا المجتمع الفاضل الكامل، وكلما كاد ينهار هذا العماد الرفيع السماك لحظته عناية منزل القرآن إكراماً لرسول الله ﴿ﷺ﴾ وحفظاً لكتاب الله تعالى، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]. وقد تمكن أعداء الإسلام والمسلمين من بث عامل الفساد بين المجتمع حتى أشرب أهل الغواية في قلوبهم الفساد والضلال، وكانوا دعاة لتمزيق المجتمع وإذلال سلطانه

([1]) سورة التوبة آية 32.
([2]) سورة الحجر آية 9.

وإضعاف قُوَّتِهِ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، فقام بين كل جماعة صارخ يصرخ مرة بالإصلاح في اقتفاء أثر الإفرنج، وتارة بإظهار عيوب ولاة المسلمين ومعاداتهم، وآونة بتجزئة الجسد الإسلامي بدعوى عرب وترك ومصريين وسوريين وسودان وهنود ويمن.

وعجباً لمن يسعى لحتفه بظلفه !! ويرى الخير أن رأسه يستقل عن جسده !!ويجهل شر هذا الغرض وسوء عاقبته !!.

لا أشك أنك أيها السائل صرت على يقين أن العمل بالقرآن واتباع الرسول ﴿ﷺ﴾ سعادة للمسلمين في الدنيا، ونعيم أبدي في الآخرة، وأن ترك العمل بوصايا القرآن ومخالفة سنة رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ذل في الدنيا وعذاب في الآخرة، وإني – وإن كنت أرى من جماعة المسلمين الاستضعاف في الأرض وأرى ما عليه الكافرون من الغرور والمعدات – فلا أقنط من روح الله، بل لا أزال واثقاً موقنا أن الله سبحانه وتعالى سيذل الكافرين أجمعين، ويأتي بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يبينون مناهج القرآن، ويجددون معالم السنة، قال الله تعالى : ﴿ هُو الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدى وَدِينِ الحَقَّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدينِ كُلِّهِ ﴾[1] أسأل الله تعالى أن يجعل لنا نوراً يقوى به يقيننا، وتجتمع به قلوبنا،

(1) سورة الصف آية 9.

ويجعلنا به أنصار الله حتى نفوز بسر قوله تعالى: ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1]

نصيحة لدعاة الإصلاح :

أيها الدعاة إلى الإصلاح والخير، أصلحوا أنفسكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾وتجملوا بالجمال الذي به يحبكم الله ورسوله، فيضع الله لكم المحبة في قلوب عباده فيقتدي بكم الخاصة، ويأتم بكم العامة، ودعوا الجنسية والوطنية الكاذبة، والشخصية الفاسدة، فَإنَّا جماعة جِنْسُنَا الإسلام، ووطننا الإسلام، وشخصنا الإسلام، ومن كان كذلك فهو مِنَّا ولنا، ومن لم يكن كذلك لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا، بذلك ينظر الله إلينا، ويبسط يده الكريمة علينا، ويمدنا بعنايته الربانية، ويؤيدنا بنصره العزيز، سر قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ ﴾ [2] الآية.

أنت أيها الداعي إلى الإصلاح، الظان أن كل أسرة من المدينة يجب أن تستقل بنفسها، وتنخلع من المدينة التي تمثل جسدا واحدًا لكل فرد من سكانها وظيفة خاصة به، ثم تظن الأسرة أنها بعد ذلك تمثل جسداً كاملا !! لقد جَهِلْتَ، لأن اللصوص الذين يسطون على المنازل ليلا لسلب الأمتعة يسرهم أن تستقل كل أسرة بنفسها، وتنفصل عن بقية سكان

(1) سورة محمد آية 7.
(2) سورة النور آية 55.

المدينة، وبذلك لا يحتاجون أن يأتوا ليلا خفية بل يأتون نهاراً، فيسلبون كل أمتعة أهل المدينة بدون أن يروا ممانعا، لأن كل أسرة انفصلت عن الأخرى، وعند سطو اللصوص عليها ليلا أو نهاراً يخلع الفزع قلوبهم يائسين ليأسهم من معاونة جيرانهم إن استغاثوا بهم لضعفهم عن دفع العدو عنهم، ولم يكن إلا الاستسلام، فيأخذ اللص الأمتعة لينتفع بها، والأشخاص ليستعبدهم، لاعتقاده أن أهل المدينة لا يُعِينُ بعضهم بعضاً.

فكذلك أنت أيها الداعي إلى الإصلاح، الجاهل سر الاستعمار، الباحث بظلفه عن حتفه، تحب أن تستقل وتمثل مملكة مستقلة تمثل مراكش أو تونس أو الجزائر أو طرابلس أو مصر أو سوريا أو اليمن، حظ تستعجله لنفسك، وهاوية شر يهوي بها جميع المجتمع،أعوذ بالله من داع يَدَّعِي أنه يدعو للإصلاح، وهو يسعى في فصل أعضاء الجسد من الجسد، ويجهل أن كل عضو فصل عن الجسد استولت عليه الكلاب فأكلته، وأن الجسد بعد فصل أعضائه يستولى عليه النمل والديدان وصغار الحشرات. فحسبكم ياقوم، فإن الخير كله في الجماعة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شيء﴾ [2].

تمثل أيها الداعي للإصلاح أن جماعة المسلمين – أين كانوا – جمعهم الله سبحانه وتعالى وألف بين قلوبهم، فرجعوا إلى ما كانوا عليه فمثلوا

([1]) سورة الأنفال آية 46.
([2]) سورة الأنعام آية 159.

جسداً واحداً صحيح الأعضاء قوي البنية نَيَّرَ العقل، هل تتصور أن أوربا لو اجتمعت وقامت يمكنها أن تستولي على شواطيء مراكش فضلا عن الهند وغيرها ؟ أسأل الله أن يوقظ قلب هذا الداعي من رقدة الغفلة ونومة الجهالة، ويجعله يشعر بقدر القوة والعزة والمنعة التي تكون لكل فرد من أفراد المسلمين في الوقت الذي يمثل المجتمع الإسلامي جسداً واحداً كما قال ﷺ : " المسلمون كالجسد الواحد ".

يسهل عليك أيها الداعي أن تدعو الجماعة إلى ما دعاهم الله إليه ودعاهم رسول الله ﷺ ، مما لو نَبَّهْتَ قلوب المسلمين إليه، لطارت إليك القلوب والأشباح ولبتك مطيعة، نَبَّه المجتمع الإسلامي بما كان لسلفنا الصالح مذ كان الإسلام وطننا، وكنا جميعاً جسداً واحداً يعمل الأصبع لخير الجسد، يغفر الله لى ولك أيها الداعي، تفصل اليد من الجسد، والمعدة من البطن، والقلب من الصدر، والرأس عن العنق، وتقول : نرقى ونسود وتكون لنا شخصية ووطنية ؟! لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !! يقطع لإنسان الآلات التي يعمل بها، والأدوات التي يستعين بها، ويقول : أنا أكون سيداً عظيماً!!.

ليست الحقيقة التي أشرحها بالخفية حتى تحتاج إلى دليل، ولا بالمحجوبة عن الأبصار حتى أقيم عليها البرهان، ولكنها بديهية، والهوى عَمىً، والحظ هاوية، ومن رباه العدو كيف يكون سلما لأهله ؟!! أسأل الله تعالى أن يحفظنا – جماعة المسلمين – من البدع المضلة والأهواء المذلة، إنه مجيب الدعاء وأن يهدي قلوبنا جميعًا لما فيه خيرنا في الدنيا والآخرة، آمين.

نيل السعادة بالمحافظة على الإسلام :

إذا جملنا الله تعالى بجمال اليقين بأن وطننا الإسلام، صار المسلمون أين كانوا وكيف كانوا، كالجسد الواحد، فيكون كل مسلم من كل مسلم ككل عضو من كل عضو، ويكون المسلم لأخيه كالرأس للجسد، أو الجسد للرأس، ونتناسى الأنساب التي وضعناها إلا بتأدية حقوقها التي أوجبها الله علينا، ويكون المسلم ولي المسلم مهما ترامى بلده وبعد نسبه واختلف لونه ولغته، سر قوله ﷺ : " إن بني فلان ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحم أبلها ببلاها ".

وبذلك يحفظ كل مسلم وطنه بماله، ويبخل بماله أن ينفق في غير وطنه العزيز، فلا ينفقه في مشترى لوازمه من أعداء وطنه العزيز فيكون ذلك قوة لهم على مضرة الوطن.

وقد رأى بعض العلماء أن المسلم يجب عليه أن يرجع عن حج النفل إن كان في ذهابه لحج النافلة تقوية الظالمين الصادين عن البيت الحرام. ومعونة أعداءٍ بالمال كمعونتهم بالنفس؛ فيحرم الحج نفلا إذا كان فيه تقوية الصادين عن المسجد الحرام الظالمين.فإذا كان حج النفل يحرم لأنه معونة بالمال لأهل الظلم الصادين عن البيت الحرام، وطلب المال من آمين البيت الحرام يجعل الحج النفل محرماً، حتى لا يعين الظلمة، فكيف يستحسن المسلم أن يعين أعداء الإسلام باستعمال تجارتهم والسفر إلى بلادهم وتقليدهم في أعمالهم والاستعانة بهم في الأمور الضرورية ؟ كل ذلك مما

يعينهم ويقويهم على نيل مقاصدهم التي هي إذلال الوطن العزيز وسلب المجد والملك من أيدي المسلمين.

وأى عاقل يبذل ماله ونفسه لينال ذلا وصغارًا وفقرًا وعبودية لأعداء الدين ؟؟ قال رسول الله ﷺ : "كل واحد من المسلمين على ثغر من ثغور الإسلام، فإن ترك المسلمون فاشدد لئلا يؤتى الإسلام من قبلك ". وقال عليه الصلاة والسلام: " المسلمون كرجل واحد ". ومثل المسلم من المسلمين كمثل الرأس من الجسد يؤلم الجسد ما يؤلم الرأس، ويؤلم الرأس ما يؤلم الجسد. وقد يتأول بعض أهل الغرة قائلا : إنما نعمل ذلك للضرورة التي تبيح شرعاً لنتداوى أو لنقرب إليهم وندفع الشر عن أنفسنا أو لنتجمل بما اخترعوه، وذلك لجهله بنتائج هذا العمل، ويا ليته لم يتداو، ومات ولم يعنهم بالمال الذي به سلبوا السلطان والعزة من أيدي المسلمين، وقهروا الناس على الخروج من الإسلام، وصيروا المسلمين أذلاء لهم،كل ذلك بالتهاون في خدمة الوطن العزيز الذي هو الإسلام، وبترك العمل بوصاياه، وبالفخر بالأنساب التي ما أنزل الله بها من سلطان، وترك الافتخار بما هو الفخر الحقيقي والمجد.

ليفتخر الإنسان – إن كان ثم فخر – بالمحافظة على الوطن العزيز، الذي هو الإسلام والعمل بوصاياه، ليكون عزيزاً منيعاً كل فرد من المسلمين بخيره ومجده وسعادته في الدنيا والآخرة. قال كعب الأحبار رضي الله عنه : مثل الإسلام والسلطان مثل العمود والفسطاط، فالفسطاط الإسلام، والعمود السلطان، والأوتاد الناس، ولا يصلح بعضها إلا ببعض. وخطب سعيد بن

سويد بحمص، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : أيها الناس إن للإسلام حائطاً منيعاً وباباً وثيقاً، فحائط الإسلام الحق، وبابه العدل، ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان، وليس شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضرباً بالسوط ؛ ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل.

الباب الثالث
الإسلام هو الوطن الذي ،سوى بين أفراد أهله
الفصل الأول
المساواة
في الإسلام

المساواة بين أفراد الإنسان بالإسلام :

الإسلام سوى بين كل مسلم، فلا فرق بين الهاشمي والعجمي إلا بتقوى الله تعالى، ولكل مسلم قسط من الوطن العزيز، لا فرق بين الحر والعبد، قال ﷺ : " المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم". ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قال:

(أبو بكر سيدُنا، وأعتق سيدَنا)، يعنى بلالاً، فأثبت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أن بلال سيده.وإذا كان بلال سيد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فهو سيد من عداه بالأوْلَى، رضي الله تعالى عنهم.

وكتب سيدنا الإمام الحسين عليه السلام، لأمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان، عندما عاتبه في عتقه أمة من إمائه وتزويجه إياها، مشددًا عليه في ترك أكفائه من بني هاشم، فكتب إليه ﷺ :

(أما بعد، فقد بلغني كتابك وتعييرك إياي بأني تزوجت مولاتي وتركت أكفائي من قريش، فليس فوق رسول الله ﴿ﷺ﴾ منتهى في شرف، ولا غاية في نسب. وإنما كانت ملك يميني، خرجت عن يدي بأمر التمست فيه ثواب الله تعالى، ثم ارتجعتها على سنة نبيه ﴿ ﷺ وآله﴾، وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة، ووضع عنا النقيصة، فلا لوم على امريء مسلم إلا في أمر مأثم، وإنما اللوم لوم الجاهلية).

وها هي خطب أمير المؤمنين سيدنا أبي بكر الصديق الأكبر ﷺ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال: (أيها الناس، إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم، أَلاَ إِنَّ أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم).

وخطب أخرى، فلما حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام، قال: (إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك، فرفع الناس رؤوسهم فقال: مالكم أيها الناس ؟ إنكم لطعانون غُيَّر عجلون، إن من الملوك من إذا ملك زهَّده الله فيما بيده، ورغبه فيما بيد غيره، وانتقصه شطر أجله، وأشرب قلبه الإشفاق، فهو يحسد على القليل، ويسخط على الكثير، ويسأم الرخاء، وتنقطع عنه لذة البقاء، لا يستعمل العبرة ولا يسكن إلى الثقة، فهو كالدرهم القيسي، والسراب الخادع، جذل الظاهر، حزين الباطن، فإذا وجبت نفسه، ونضب عمره، وضحى ظله، حاسبه الله فأشد حسابه، وأقل عفوه، ألا وإن الفقراء هم المرحومون، ألا إن من آمن بالله حكم بكتابه، وسنة نبيه ﷺ وإنكم اليوم على خلافة نبوة ومفرق محجة، وسترون بعدي ملكاً عضودًا، وملكًا عنودا، وأمة شحاحا، ودمًا مباحاً، فإن كان للباطل نزوة، ولأهل الحق جولة، يعفو لها الأثر، ويموت لها الخبر: فالزموا المساجد، واستشيروا القرآن، واعتصموا بالطاعة، وليكن الإبرام بعد التشاور، والصفقة بعد طول التناظر، أى بلاد جرشة، إن الله سيفتح لكم أقصاها كما فتح عليكم أدناها).

وخطب أيضًا فقال: (الحمد لله أحمدُه وأستعينُه وأستغفره، وأُومن به وأتوكلُ عليه، وأستهدي الله بالهدى، وأعوذ به من الضلالة والردى، ومن الشك والعمى. من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق

ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون إلى الناس كافة، ورحمة لهم، وحجة عليهم، والناس حينئذ على أشر حال في ظلمات الجاهلية، دينهم بدعة، ودعوتهم فرية، فأعز الله الدين بمحمد ﴿ﷺ﴾ وألف بين قلوبكم أيها المؤمنون ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [1] فأطيعوا الله ورسوله فإنه قال الله عز وجل: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[2].

أما بعد، أيها الناس: إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر، وعلى كل حال، ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم، فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك، وإياكم والفخر، وما فخر من خلق من التراب، وإلى التراب يعود ؟ واليوم حي، وغدًا ميت، فعلموا وعدوا أنفسكم في الموتى، وما أشكل عليكم فردوا علمه إلى الله، وقدموا لأنفسكم خيراً تجدوه محضراً، فإنه قال عز وجل : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [3].

فاتقوا الله عباد الله وراقبوه، واعتبروا بمن مضى قبلكم، واعلموا أنه لابد من لقاء ربكم، والجزاء بأعمالكم صغيرها وكبيرها، إلا ما غفر الله إنه

(1) سورة آل عمران آية 103.
(2) سورة النساء آية 80.
(3) سورة آل عمران آية 30.

غفور رحيم. فأنفسكم أنفسكم، والمستعان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] اللهم صل على مُحَمَّد عبدك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك، وزكنا بالصلاة عليه، وألحقنا به، واحشرنا في زمرته، وأوردنا حوضه، اللهم أعنا على طاعتك وانصرنا على عدوك).

وخطب أيضًا ﷺ فقال: (الحمد لله الذي ،أعزنا بالإسلام، وأكرمنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه ﴿ﷺ﴾ فهدانا به من الضلالة، وجمعنا به من الشتات، وألف بين قلوبنا، ونصرنا على عدونا، ومكن لنا في البلاد، وجعلنا به إخوانا متحابين، فاحمدوا الله على هذه النعمة، وأسألوه المزيد فيها، والشكر عليها؛ فإن الله قد صدقكم الوعد بالنصر على من خالفكم، وإياكم والعمل بالمعاصي، وكفر النعمة؛ فقلما كفر قوم بنعمة ولم ينزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم، وسلط عليهم عدوهم.

أيها الناس: إن الله قد أعز دعوة هذه الأمة، وجمع كلمتها، وأظهر فلجها ونصرها وشرفها، فاحمدوه عباد الله على نعمه، واشكروه على آلائه، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين).

أنزل نفسه رضي الله تبارك وتعالى عنه منزلة واحد من المسلمين، وجعل الحق هو المقصود بالذات، وبين حقيقة الإسلام بأن الأمير لا يطاع إلا إذا أطاع الله، وأنه إذا عصى الله فلا طاعة له على أحد، فجعل الأمير

(1) سورة الأحزاب آية 56.

فرداً من أفراد المسلمين، يكون هو وإخوانه المؤمنون جميعاً سواء في تنفيذ الحق ولو على نفسه، ويكون المؤمنون عليه إن خالف الحق، فلا حق للأمير على الرعية إلا بالحق، فالحق هو الآمر سبحانه، والخلق كلهم مأمورون بأمره العلي، وكل آخذ بالحق، عامل به، عالم بأسراره، هو أبو المسلمين جميعًا.

الفصل الثاني
نماذج مأثورة عن الخلفاء الراشدين وأئمة أهل البيت

ولما كانت أعمال الصحابة رضي الله تبارك وتعالى عنهم وأقوالهم هي النور المبين، فالواجب على المسلمين الاقتداء بهم؛ فناسب أن أبين لنفسي ولإخوتي نماذج من كلامهم ﷺ، ونبذاً مختصرة من أعمالهم التي تستضيء بها القلوب، وتستبين بها سبل الله سبحانه، وتلوح بها أنوار سنة رسول الله ﷺ

فمن كلام سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ:

إنه لما ولى الخلافة خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد، أيها الناس: قد وليت أمركم، ولست بخير منكم، وإن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له الحق، وإن أضعفكم عندي القوي، حتى آخذ منه الحق.

أيها الناس: إنما أنا متبعٌ ولست بمبتَدِع، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن زغتُ فقوموني).

وكان يقول ﷺ:(إن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله، ولا يحتمله إلا أفضلكم مقدرة، وأملككم لنفسه).

وكان أشجع الصحابة ﷺ، وأثبتهم في دين الله، ففي معالم التنزيل: لما قبض رسول الله ﴿ﷺ﴾ وانتشر خبر وفاته، ارتد عامة العرب إلا أهل مكة والمدينة والبحرين، ومنع بعضهم الزكاة، فهم أبو بكر بقتالهم، فكره ذلك أصحاب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، وقال عمر: كيف نقاتل الناس وقد قال ﴿ﷺ﴾ :

" أمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم " فقال له أبو بكر: (أليس قد قال: " إلا بحقها ؟" ومن حقها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والله لو منعوني عقالا – وفى رواية: عناقا – كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ لقاتلتهم على منعه، ولو خذلني الناس) فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق، قال عمر بن الخطاب: والله لقد رجح إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة جميعها في قتال أهل الردة.

وفى مدة خلافته اليسيرة فتح فتوحات كثيرة، فأول ما بدأ به بعد خلافته أنه أنفذ جيش أسامة، وكان قد استصغر قوم من الصحابة أسامة، وقالوا لعمر بن الخطاب: قل لأبي بكر يرجع بالمسلمين، فإن أبى ألا يفعل فليول علينا رجلا أقدم سنا من أسامة، فجاء عمر بن الخطاب إلى أبي بكر وذكر له ذلك، فقال أبو بكر: (لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ﴿ﷺ﴾). فرجع عمر إلى الأنصار وذكر لهم مقالة أبي بكر فقالوا له: لابد أن تراجع أبا بكر في ذلك، فراجعه عمر، فقام أبو

بكر، وأخذ بلحية عمر، وقال: (ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، استعملَ رسولُ الله ﷺ أسامة وأمَّره، وتأمرني أن أنزعه؟)

فعند ذلك رجع عمر إلى الناس وأخبرهم فتجهزوا وخرجوا، وخرج أبو بكر فشيعهم وهو ماش وأسامة راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر، فقال أسامة لأبي بكر: ياخليفة رسول الله، لتركبن أو لأنزلن، فقال أبو بكر: (والله لا أركب ولا تنزل، وما ضرني أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله). وعاد أبو بكر وسافر أسامة بالجيش إلى الروم، فلما وصل أسامة إلى بني حيل شن عليهم الغارة، وسبى حريمهم وحرق منازلهم وأصاب الغنائم. وفتح أبو بكر اليمامة، وقتل مسيلمة الكذاب، وقاتل جموع أهل الردة إلى أن رجعوا إلى دين الله وفتح أطراف العراق وبعض الشام.

وكان يقول ﷺ في محاضراته: (أين القضاة الحسنة وجوههم، المعجبون بشأنهم ؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان ؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب، وقد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور ؟ ! الوحا الوحا النجاء النجاء).

وكان يقول: (يا معشر المسلمين: استحيوا من الله، فو الذي ،نفسي بيده إني لا أظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء مقنعًا، استحياء من ربي عز وجل) وكان يأخذ بطرف لسانه ويقول: (هذا الذي ،أوردنى الموارد) وكان إذا سقط خطام ناقته ينيخها ويأخذه، فيقال له: هلا أمرتنا ؟فيقول: (إن رسول الله ﷺ أمرنى ألا أسأل الناس شيئًا).

وكان إذا مُدحَ رضوان الله عليه قال: (اللهم أنت أعلم بي من نفسي ، وأنا أعلم بنفسي نهم، اللهم اجعلني يرًا مما يحسبون، واغفر لي ا لا يعلمون).

وعندما حضرته الوفاة – ﷺ – أرسل إلى عمر بن الخطاب فقال: (إني أوصيك بوصية إن أنت قبلتها عني: إن لله عز وجل حقا بالليل لا يقبله بالنهار، وإن لله لحقا بالنهار لا يقبله بالليل، والله عز وجل لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة، واعلم أن الله عز وجل ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم، فيقول القائل: أين يقع عملي في عمل هؤلاء ؟ وذلك أن الله عز وجل تجاوز عن سئ أعمالهم، واعلم أن الله عز وجل ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم، ويقول قائل : أنا خير من هؤلاء عملا، وذلك أن الله عز وجل رد عليهم أحسن أعمالهم فلم يقبله، ألم تر ؟ إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه في الآخرة باتباعهم الحق في الدنيا وثقل ذلك عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا حق أن يثقل. ألم تر؟ إنما خفت موازين من خفت موازينه في الآخرة باتباعهم الباطل في الدنيا وخف ذلك عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا باطل أن يخف. ألم تر أن الله عز وجل أنزل آية الرخاء عند آية الشدة ؟ وآية الشدة عند آية الرخاء ؟ لكي يكون العبد راغبا راهبًا لا يلقي بيده إلى التهلكة، ولا يتمنى على الله غير الحق. فإن أنت حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت، ولا بد لك منه، وإن أنت ضيعت وصيتي هذه فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت، ولن تعجزه).

ومن كلام سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ:

كان يقول: (اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتى في بلد رسول الله ﷺ) و كان يقول: (من خاف من الله لم يشف غيظه، ومن يتق الله لم يضيع ما يريد).

وصعد ﷺ يومًا المنبر وقال: (الحمد لله الذي ،صيرني ليس فوقي أحد. فقيل: ما حملك على ما تقول ؟ قال: إظهار الشكر). ثم نزل وكان ﷺ إذا وقع بالمسلمين أمر، يكاد يهلك اهتمامًا بأمرهم.

وعن عمرو بن العاص قال: بينما أنا بمنزلي بمصر، إذ قيل لى: هذا عبد الرحمن بن عمر وأبو سروعة يستأذنان عليك – وفي رواية غيره: عبد الرحمن ورجل يعرف بعقبة بن الحرث – فقلت: يدخلان، فدخلا وهما منكسران، فقالا: أقم علينا حد الله فإنا أصبنا البارحة شراباً وسكرنا، قال: فزجرتهما وطردتهما، فقال عبد الرحمن: إن لم تفعله أخبرت والدي إذا قدمت عليه. فعلمت أنى إن لم أقم عليهما الحد غضب عليَّ عمر وعزلني، فأخرجتهما إلى صحن الدار فضربتهما الحدود. ودخل عبد الرحمن ناحية إلى بيت في الدار فحلق رأسه – وكانوا يحلقون مع الحدود – والله ما كتبت إلى عمر بحرف مما كان حتى إذا كتابه جاءني فيه (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، من عبد الله عمر إلى عمرو بن العاص: عجبت لك وجرأتك علىّ، وخلافك عهدي، فما أراني إلا عازلك بضرب عبد الرحمن في بيتك، وتحلق رأسه في بيتك، وقد عرفت أن هذا يخالفني، إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين، ولكن قلت: هو ابن أمير المؤمنين، وعرفت

أن لا هوادة لأحد من الناس عندى في حق. إذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءة على قتب، حتى يعرف سوء ما صنع) فبعث به كما قال أبوه. وكتب عمرو إلى عمر يعتذر إليه أنى ضربته في صحن دارى، وبالله – الذي ،لا يُحْلف بأعظم منه – إني لأقيم الحدود في صحن داري على المسلم والذمي. وبعث بالكتاب مع عبد الرحمن بن عمر، فقدم به عبد الرحمن على أبيه فدخل وعليه عباءة ولا يستطيع المشي من سوء ما ركبه، فقال: ياعبد الرحمن: فعلت وفعلت ؟ فكلمه عبد الرحمن بن عوف وقال: يا أمير المؤمنين قد أقيم عليه الحد، فلم يلتفت إليه، فجعل عبد الرحمن يصيح ويقول: إني مريض وأنت قاتلي، قال: فضربه الحد ثانية وحبسه، فمرض حتى مات.

وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لقد رأيت عمر وقد أقام الحد على ولده فقتله فقيل له، يا ابن عم رسول الله: حدثنا كيف أقام الحد على ولده فقتله فيه ؟ قال: لقد كنت ذات يوم في المسجد وعمر جالس والناس حوله: إذ أقبلت جارية، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال عمر: وعليك السلام ورحمة الله، ألك حاجة ؟ فقالت: نعم، خذ ولدك هذا مني، فقال عمر: إني لا أعرفه. فبكت الجارية، وقالت: يا أمير المؤمنين، إن لم يكن من ظهرك فهو ولد ولدك، فقال: أي أولادي ؟ قالت: أبو شحمة، فقال: أبحلال أم بحرام ؟ فقالت: من قبلي بحلال، ومن جهته بحرام، قال عمر: كيف ذلك ؟ اتقي الله ولا تقولي إلا حقا، قالت: ياأمير المؤمنين كنت مارة في بعض الأيام إذ مررت بحائط بني النجار، إذ أتاني ولدك أبو شحمة يتمايل سكرًا وكان شرب عند نسيكة اليهودي،

قالت : ثم راودني عن نفسي وجرني إلى الحائط، ونال مني ما ينال الرجل من المرأة – وقد أغمى عليَّ – فكتمت أمري عن عمي وجيراني، حتى أحسست بالولادة، فخرجت إلى موضع كذا وكذا فوضعت هذا الغلام، وهممت بقتله، ثم ندمت على ذلك، فاحكم بحكم الله بيني وبينه.

فأمر عمر مناديا فنادى، فأقبل الناس يهرعون إلى المسجد، ثم قام عمر فقال: لا تتفرقوا حتى آتيكم، ثم خرج فقال: يا ابن عباس أسرع معي، فلم يزل حتى أتى منزله فقرع الباب وقال: ههنا ولدي أبو شحمة ؟ فقيل له: إنه على الطعام، فدخل عليه وقال: كل يابني فيوشك أن يكون آخر زادك من الدنيا، قال ابن عباس: فلقد رأيت الغلام وقد تغير لونه وارتعد، وسقطت اللقمة من يده، فقال عمر: يابني،من أنا ؟ فقال: أنت أبي وأمير المؤمنين، فقال: فلي حق الطاعة أم لا ؟، قال: لك طاعتان مفترضتان لأنك والدي وأمير المؤمنين، قال عمر: بحق نبيك، وبحق أبيك، هل كنت ضيفا لنسيكة اليهودي، فشربت الخمر عنده فسكرت؟ قال : قد كان ذلك، وقد تبت، قال : رأس مال المؤمنين التوبة، قال : يابني أنشدك بالله، هل دخلت حائط بني النجار فرأيت امرأة فواقعتها ؟ فسكت وبكى، قال عمر: لا بأس، أَصْدِقْ يابني فإن الله يحب الصادقين، قال: قد كان ذلك، وأنا تائب نادم. فلما سمع ذلك عمر منه قبض على يده ولبَّبه وجره إلى المسجد، فقال: يا أبَتِ لا تفضحني وخذ السيف واقطعني إربا إربا، قال: أما سمعت قوله تعالى: ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مَّن المؤْمِنينَ ﴾[1] ثم جره

(1) سورة النور آية 2.

إلى ما بين يدي أصحاب رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ في المسجد، وقال: صدقت المرأة وأقر أبو شحمة بما قالت.

وكان له مملوك يقال له أفلح، فقال: يا أفلح خذ ابني هذا إليك واضربه مائة سوط ولا تقصر في ضربه، فقال: لا أفعل، وبكى، فقال: يا غلام إن طاعتي طاعة الله ورسوله ﴿صلى الله عليه وآله﴾، فافعل ما آمرك به، قال فنزع ثيابه، وضج الناس بالبكاء والنحيب، وجعل الغلام يشير إلى أبيه، يا أبت ارحمني، فقال له عمر وهو يبكي : إنما أفعل هذا كي يرحمك الله ويرحمني، ثم قال : يا أفلح اضربه، فضربه وهو يستغيث وعمر يقول : اضربه، حتى بلغ سبعين، فقال : يا أبت اسقني شربة من ماء، فقال : يابني إن كان ربك يطهرك، فيسقيك مُحَمَّد ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ شربة لا تظمأ بعدها أبدا، يا غلام اضربه، فضربه حتى بلغ ثمانين، فقال : يا أبت السلام عليك، فقال : وعليك السلام، وإن رأيت مُحَمَّداً فأقرئه مني السلام، وقل له : خلفت عمر يقرأ القرآن ويقيم الحدود، يا غلام اضربه : فلما بلغ تسعين انقطع كلامه وضعف فرأيت أصحاب رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ قالوا : يا عمر، انظر كم بقي فأخره إلى وقت آخر، فقال : كما لم تؤخر المعصية لا تؤخر العقوبة.

وجاء الصريخ إلى أمه فجاءت باكية صارخة وقالت: أحج بكل سوط حجة ماشية، وأتصدق بكذا وكذا درهما، فقال: إن الحج والصدقة لا ينوبان عن الحد، فضربه، فلما كان آخر سوط سقط الغلام ميتا، فصاح وقال:يابني محص الله عنك الخطايا ثم جعل رأسه في حجره، وجعل يبكي

ويقول: بأبي من قتله الحق، بأبي من مات عند انقضاء الحد، بأبي من لم يرحمه أبوه وأقاربه.

فنظر الناس إليه فإذا هو قد فارق الدنيا، فلم نر يوما أعظم منه، وضج الناس بالبكاء والنحيب.

فلما كان بعد أربعين يوما أقبل حذيفة بن اليمان صبيحة يوم الجمعة، فقال: إني رأيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ في المنام، وإذا الفتى معه وعليه حلتان خضراوان، وقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : (أقريء عمر مني السلام، وقل : هكذا أمرك الله أن تقرأ القرآن،وتقيم الحدود) وقال الغلام : ياحذيفة أقريء أبي مني السلام، وقل له : طهرك الله كما طهرتني.

خطبة لسيدنا عثمان بن عفان ﷺ:

عن يزيد بن عثمان قال: آخر خطبة خطبها عثمان: (أيها الناس إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، فلم يعطكموها لتركنوا إليها، إن الدنيا تفنى، والآخرة تبقى، لا تبطرنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية، آثروا ما يبقى على ما يفنى؛ فإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله، اتقوا الله فإن تقواه جُنَّةٌ من بأسه، ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغيرة، والزموا جماعتكم لا تصيروا أخدانا ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾[1].

(1) سورة آل عمران آية 103.

ومن كلام سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام: **أسماء للتشكيل**

الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا. الناس أشبه بزمانهم منهم بآبائهم. قيمة كل امريء ما يحسنه. من عرف نفسه فقد عرف ربه. المرء مخبوء تحت لسانه. من عذب لسانه كثر إخوانه. البر يستعبد الحر. لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال. الجزع عند البلاء تمام المحنة.

لا ظفر مع البغي. لا ثناء مع الكبر. لا بر مع الشح. لا ضجة مع الهم. لا شرف مع سوء الأدب. لا اجتناب لمحرم مع الحرص. لا راحة مع الحسد. لا سؤدد مع الانتقام. لا محبة مع المراء. لا صواب مع ترك المشورة. لا مروءة لكذوب. لا وفاء لملول. لا كرم أعز من التقى. لا شرف أعلى من الإسلام. لا معقل أحصن من العقل. لا شفيع أنجح من التوبة. لا لباس أجمل من العافية. لا داء أعيى من الجهل. لا مرض أدنى من قلة العقل.

لسانك يقضيك ما عودته. المرء عدو ما جهله. رحم الله امرأ عرف نفسه ولم يتعد طوره. إعادة الاعتذار تذكير للذنب. النصح بين الملأ تقريع. إذا تم العقل نقص الكلام. الشفيع نجاح الطالب. نفاق المؤمن ذلة. نعمة الجاهل كروضة على مزبلة. الجزع أتعب من الصبر. المسئول حر حتى يعد. أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة. من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه. السامع للغيبة أحد المغتابين. الذل مع الطمع. العز مع البأس. الحرمان مع الحرص. من كثر مزاحه حقد عليه واستخف به. عبد الشهوة أذل من عبد الرق. الحاسد يغتاظ على من لا ذنب له. منع الموجود سوء ظن بالمعبود. كفى بالظفر شفيعًا للمذنب. رب ساع فيما يضره. من نظر اعتبر. العداوة شغل

القلب. القلب إذا كره عمى. الأدب صورة العقل. من لانت أسافله صلبت أعاليه السعيد من وعظ بغيره. البخل جامع لمساوى العيوب. كثرة الوفاق نفاق. كثرة الخلاف شقاق. رب رجاء يؤدى إلى الحرمان. رب ربح يؤدى إلى خسران. البغى سائق إلى الجبن، في كل جرعة شرقة، ومع كل أكلة غصة. من كَثُرَ فكره في العواقب لم يشجع. إذا حلت المقادير بطلت التدابير. إذا حل القدر بطل الحذر. الإحسان يقطع اللسان، والشرف بالعقل، والأدب بالأصل، وأكرم النسب حسن الأدب. أفقر الفقراء: الحمقى. أوحش وحشة: العجب. أغنى الغنى: العقل. ليس العجب ممن هلك كيف هلك، إنما العجب ممن نجا كيف نجا ؟!. احذروا كفران النعم، فما كل شارد بمردود. قلب الأحمق في فيه، ولسان العاقل في قلبه. من جرى في ميدان أمله عثر في عنان أجله. إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر. إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكرا للقدرة عليه. ما أضمر أحد شيئا في قلبه، إلا ظهر عليه في فلتات لسانه وصفحات وجهه. البخيل يستعجل الفقر، يعيش في الدنيا عيشة الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء. لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه.

العلم يرفع الوضيع، والجهل يضع الرفيع. قَصَمَ ظَهْري رجلان : عالم متهتك، وجاهل متنسك، هذا ينفر الناس بتهتكه، وهذا يضل الناس بتنسكه. الإنسان عقل وصورة: فمن أخطأه العقل لزمته الصورة ولم يكن كاملا، وكان بمنزله جسد بلا روح.

لا تكـون غنيـا حـتى تكـون عفيفًـا، ولا تكـون زاهـدا حـتى تكـون متواضعًا، ولا تكون متواضعاً حتى تكون حليما، و لا يسلم قلبك حتى تحب للمسلمين ما تحب لنفسك.

وكفى بالمرء جهلا أن يرتكب ما نُهِيَ عنه، وكفى به عقلا أن يَسْلَمَ الناس من شره، وأعرض عن الجهل وأهله، واكفف عن الناس ما تحب أن يَكُفَّ الناس عنك، وأكرم من صافاك، وأحسن مجاورة من جاورك وإن جانبك، واكفف الأذى، واصفح عن سوء الأخلاق، ولتكن يدك العليا إن استطعت، ووطن نفسك الصبر على ما أصابك، وألهم نفسك القناعة، وأكثر الدعاء تسلم من ثورة الشيطان.

ولا تنافس على الدنيا ولا تتبع الهوى، وعليك بالشيم العالية تقهر من يناوئك، قل عند كل شدة: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تكف، وقل عند كل نعمة: الحمد لله، تزدد منها، وإذا أبطأت عليك الأرزاق فاستغفر الله يوسع عليك.

من أجمل في الطلب أتاه رزقه من حيث لا يحتسب. من كثر دَيْنُه لم تقر عينه. من استعان بالرأى ملك، ومن كابد الأمور هلك، من أمسك عن الفضول عُدَّ من أرباب العقول. من لم يكتسب بالأدب مالا اكتسب به جمالا. من حسنت سياسته دامت رياسته. من ركب العجلة لم يأمن الكبوة. ما ذب عن الأعراض كالصفح والإعراض. خير الكلام مادل وقل ولم يُمَلّ. الحكيم لا يعجب بقضاء محتوم حل بمخلوق.

لا تُحدَّث من غير ثقة تكن كذابا، وقارن أهل الخير تكن منهم، وانأ عن أهل الشر تبن عنهم، واعلم أنه من الحزم والعزم، وساعد أخاك إن جفاك، وإن قطعته فاستبق له بقية من نفسك، ولا ترغب فيمن زهد فيك، وليس جزاء من سرك أن تسوءه، واعلم أن عاقبة الكذب الذم، وعاقبة الصدق النجاة.

خير أهلك من كفاك. ترك الخطيئة أهون من التوبة. عدو عاقل خير من صديق جاهل. التوفيق من السعادة. من تحفظ من سقط الكلام أفلح. كن من غريب خير من قريب.

خير إخوانك من واساك، وخير منه من كفاك. خير مالك ما أعانك على حاجتك. من أحب الدنيا جمع لغيره. المعروف فرض والدنيا دول. من كان في النعمة جهل قدر البلية.

السؤال مذلة، والعطاء محبة، والمنع مبغضة، وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار. الحر حر ولو مسه الضر. ما ضل من استرشد، ولا خاب من استشار. آمن من نفسك عندك من وثقته على سرك.

المودة بين الآباء صلة بين الأبناء. من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها. الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، فإن كان لك فلا تبطر، وإن كان عليك فلا تضجر. الطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار له عجز).

وكتب لابن عباس رضي الله عنهما: (أما بعد، فإن المرء يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، ويسره درك ما لم يكن ليفوته، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، وليكن أسفك على ما فات منها. وما نلت من دنياك فلا تكن به فرحا، وما فاتك منها فلا تأس عليه، وليكن همك لما بعد الموت، والسلام).

وقال عليه السلام: (الشيء شيئان: شيء قَصُرَ عني، لم أرزقه فيما مضى، ولا أرجوه فيما بقى. وشيء لا أناله دون وقته، ولو استعنت عليه بقوة أهل السموات والأرض. فما أعجب الإنسان يسره درك مالم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه. ولو أنه فكر لأبصر، ولعلم أنه مدبر، واقتصر على ما تيسر، ولم يتعرض لما تعسر، واستراح قلبه مما استوعر. فكونوا أقل ما تكونوا في الباطن آمالا، وأحسن ما تكونوا في الظاهر أعمالا، فإن الله تعالى أدَّب عباده المؤمنين أدبًا حسنًا، فقال عز من قائل: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[1] ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء، طلبا لما عند الله تعالى، وأحسن منه: تيه الفقراء على الأغنياء، اتكالا على الله تعالى).

وقال: (يوم العدل على الظالم شر من يوم الجور على المظلوم. خيٌر ما ساس الإنسانُ به نفسَه. خف الله خوفا لا تيأس فيه رحمته، وارجه رجاء

(1) سورة البقرة آية 273.

لا تأمن فيه من عقابه. رب حيلة أهلكت المحتال. خفاء عيب الإنسان عليه أشد عيوبه مضرة عليه).

ومن كلامه لابنه الحسن عليهما السلام: (يابني، ابذل لصديقك كل المودة، ولا تطمئن إليه كل الطمأنينة، وأعطه كل المساواة، ولا تفش له كل الأسرار).

ومن كلامه المنظوم عليه السلام:

أَلاَ لَـــن تَنَـــالَ الْعِلـــمَ إلاَّ بِسِـــتَّةٍ سَـــأُنبيكَ عَـــن مَجْمُوعِهَـــا بِبَيَـــانِ
ذكَـــاءٌ وَحِـــرْصٌ وَاخْتِبَـــارٌ وَبُلْغَـــةٌ وإرشـــادُ أســـتاذٍ وَطُـــولُ زَمَـــانِ

ومنه قوله عليه السلام:

النـــاَّسُ مِـــنْ جِهَـــةِ التَّمْثيـــل أَكفَـــاءُ أَبُـــو هُمـــو آدَم وَالأُمُّ حَـــوَّاءُ
فَـإن يَكُـنْ لَهُمـو فِي أَصـلِهِمْ شَـرفٌ يُفَـــاخِرونَ بِـــه فَـــالطين وَالْمَـــاءُ
مَـا الْفَضْـلُ إلاَّ لأَهْـلِ الْعِلْـمِ إنَّهُمُـو عَلَـى الهـدى لِمَـن اسْـتَهْدَى أَدِلاَّءُ
وَقِيمَـةُ الْمـرءِ مَـا قَـدْ كَـانَ يُحْسِـنُهُ وَالْجَـــاهِلُونَ لأَهْـــلِ الْعِلْـــمِ أَعْـــدَاءُ
وَإِنْ أَتَيْـتَ بِجُـودٍ مـنْ ذَوِى نَسَـب فَـــإنَّ نِسْـــبَتَنَا جُـــودٌ وَعَلْيَـــاءُ
فَقُـــمْ بِعِلْـــمٍ وَلا تَبْغِـــى بِـــه بَـــدَلاً فالنَّـاسُ مَـوْتَى وَأَهْـلُ الْعِلْـمِ أَحْيَـاءُ

ومنه أيضا:

فَـارِقْ تَجِـدْ عِوَضـاً عَمَّـنْ تُفَارِقـهُ وَانْصَبْ فإنَّ لَذيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ

فَالأَسْدُ لَوْلاَ فِرَاقُ الْغَابِ مَا افْتَرَسَتْ وَالسَّهْمُ لَوْلاَ فِراقُ الْقَوْسِ لَمْ يُصِبِ

ومنه أيضاً:

وَإِنْ تُعْطِ نَفْسَكَ آمالَهَا فَعِنْدَ مُنَاهَا يَحِلُّ النَّدَمْ
فَكَمْ آمِنٍ عاش في نِعْمَةٍ فَمَا حَسَّ بِالفَقْرِ حَتَّى هَجَمْ
إِذَا كُنتَ في نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِي تُزِيلُ النَّعَمْ
وَداوِمْ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الإِلَهِ فَإِنَّ الإِلَهَ سَرِيعُ النَّقَمْ

ومنه أيضاً:

لاَتَخْضَعَنَّ لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ فَإِنَّ ذُلِكَ وَهْنٌ مِنْكَ فِي ٱلدِّينِ
وَٱسْأَلْ إِلهَكَ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ فَإِنَّمَا هِيَ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ
إِنَّا نَرَىٰ كُلَّ مَنْ نَرْجُو وَنَأْمَلُهُ مِنَ الْبَرِيَّةِ مِسْكِينٌ ابْنُ مِسْكِينِ
مَا أَحْسَنَ الْجُودَ فِي الدُّنْيَا وَفِي ٱلدِّينِ وَأَقْبَحَ الْبُخْلِ مِمَّنْ صِيغَ مِنْ طِينِ

ومن كلام سيدنا الإمام الحسن السبط عليه السلام:

نقل الحافظ أبو نعيم في حليته، أن أمير المؤمنين عليا بن أبي طالب عليه السلام، سأل ابنه الحسن عليهما السلام فقال: (يابني: ما السداد ؟ فقال: ياأبت، السداد دفع المنكر بالمعروف. قال: فما الشرف ؟ قال: اصطناع العشيرة وحمل الجريرة. قال: فما السماحة ؟ قال: البذل في العسر واليسر: قال: فما اللؤم؟ قال: احتقار المرء نفسه وبذله عرسه. قال: فما

الجبن ؟ قال: الجرأة على الصديق والنكول عن العدو. قال: فما الغنى ؟قال : رضا النفس بما قسم الله لها وإن قل. قال: فما الحلم ؟ قال: كظم الغيظ وملك النفس. قال: فما المنفعة ؟ قال: شدة البأس ومنازعة أعز الناس. قال: فما الذل ؟ قال: الفزع عند الصدمة. قال: فما الكلفة ؟ قال : كلامك فيما لا يعنيك. قال: فما المجد ؟ قال: أن تعطي في العزم وتعفو في الجرم. قال: فما السؤدد ؟ قال: إتيان الجميل وترك القبيح. قال: فما السفه ؟ قال: إتباع الدناءة وصحبة الغواة. قال: فما الغفلة ؟ قال: ترك المسجد وطاعة المفسد).

ومن كلامه عليه السلام:(لا أب لمن لا عقل له، ولا مودة لمن لا همة له، ولا حياء لمن لا دين له. ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل، وبالعقل تُدرك الداران جميعا، ومن حرم العقل حرمهما جميعًا).

وقال: (هلاك الناس في ثلاث: في الكبر والحرص والحسد، فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس، والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل). وقال: (حسن السؤال نصف العلم، ومن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه). وسئل عن الصمت فقال: (ستر العيب، وزين العرض، وفاعله في راحة، وجليسه في أمن).

وقيل له: إن أبا ذر يقول الفقر أحب إليَّ من الغنى، والسقم أحب إليَّ من الصحة، فقال: (رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختارها الله له).

وكان يقول لبنيه وبني أخيه: (تعلموا العلم، فإن لم يستطيعوا فاكتبوه وضعوه في بيوتكم).

ومن كلامه المنظوم عليه السلام:

اغْـــنَ عَـــنِ ٱلْمَخلُـــوقِ بِٱلْخَـــالِقِ تَغْـــنَ عَـــنِ ٱلْكَـــاذِبِ بِٱلصَّـــادقِ
وٱسْـــتَرْزِقِ الـــرَّحْمنَ مِـــنْ فَضْـــلِهِ فَلَـــيْسَ غَيْـــرُ ٱللهِ بالـــرَّازِقِ
مَـــنْ ظَـــنَّ أَنَّ النَّـــاسَ يُغْنُونَـــهُ فَلَـــيْسَ بِـــٱلرَّحْمٰنِ بِالْوَاثِـــقِ
مَـــنْ ظَـــنَّ أَنَّ ٱلـــرِّزْقَ مِـــنْ كَسْـــبِهِ زَلَّـــتْ بِـــهِ ٱلْقَـــدَمَانِ مِـــنْ حَـــالِقِ

وقال أبو نعيم في حليته: لما اشتد الأمر بالحسن قال: (أخرجوا فراشي إلى صحن الدار لعلي أتفكر في ملكوت السموات – يعني الآيات – فلما خرجوا به قال: اللهم إني أحتسب نفسي عندك، فإنها أعز الأنفس عَلَى عَلِيٍّ عليه السلام). قال الأصمعي: سأل علي بن أبي طالب ابنه الحسن عليهما السلام: (كم بين الإيمان واليقين؟ قال: أربعة أصابع، قال: كيف ذلك ؟ قال: الإيمان كل ما سمعته أذناك وصدقه قلبك، واليقين ما رأته عيناك فأيقن به قلبك، وليس بين العين والأذنين إلا أربعة أصابع).

ومن كلام سيدنا الإمام الحسين عليه السلام:

(حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم فتعود نقما) وقال رضي الله عنه:(صاحب الحاجة لم يُكْرِمْ وجهه عن سؤالك، فأكرم وجهك عن رده. الحلم زينة، والوفاء مروءة، والصلة نعمة، والاستكثار صلف، والعجلة

سفه، والسفه ضعف، والغلو ورطة، ومجالسة أهل الدنيا شر، ومجالسة أهل الفسوق ريبة).

وقال في خطبة خطبها:(أيها الناس: نافسوا في المكارم، وسارعوا في المغانم، ولا تحتسبوا بمعروف لم تُعَجَّلُوه، واكتسبوا الحمد بالمنح، ولا تكتسبوه بالمطل، فمهما يكن لأحد عند أحد صنيعة ورأى أنه لا يقوم بشكرها، فالله له بمكافأته بمكان، وذلك أجزل عطاءً وأعظم أجرًا، واعلموا أن المعروف يكسب حمدًا ويعقب أجرًا، فلو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين، ولو رأيتم اللؤم رجلا رأيتموه منظرًا قبيحًا تنفر منه القلوب، وتغض منه الأبصار. أيها الناس: من جاد ساد، ومن بخل ذل، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وأعفى الناس من عفا عن قدرة، وإن أوصل الناس من وصل من قطعه، ومن أراد بالصنيعة إلى أخيه وجه الله تعالى كافأه الله بها وقت حاجته، وصرف عنه من البلاء أكثر من ذلك. ومن نَفَّسَ عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة، ومن أحسن أحسن الله إليه، والله يحب المحسنين).

وقيل: كان بين الحسين وبين أخيه الحسن عليهما السلام كلام ووقفة، فقيل له: اذهب إلى أخيك الحسن استرضه وطيب خاطره، فإنه أكبر منك، فقال: (سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: (أيما اثنين بينهما كلام فطلب أحدهم رضا الآخر كان السابق سابقه إلى الجنة وأكره أن أسبق أخي الأكبر إلى الجنة) فبلغ قوله الحسن ﷺ فأتاه وَتَرَضَّاه.

ومن كلامه المنظوم عليه السلام:

فَـإِن تَكُـنِ الـدُّنْيا تُعَـدُّ نَفِيسَـةً فَـإِنَّ ثَـوَابَ الله أَعْلَـى وَأَنْبَـلُ
وَإِنْ يَـكُ لاَ بُـدَّ مِـنَ الْمَـوتِ لِلْفَـتَى فَقَتْـلُ ٱلْمَـرِيءِ فِي ٱللهِ بِٱلسَّـيْفِ أَجْمَـلُ
حِـرْصُ الْمَـرْءِ فِي ٱلْكَسْـبِ يَجْمُـلُ وَإِنْ تَكُنِ الأَرْزَاقُ قَسْمًا مُقَدَّرًا فَقِلَّةُ
وَإِنْ تَكُـنِ ٱلأَمْـوَالُ لِلتَّـرْكِ جَمْعُهَـا فَمَـا بَالُ مَتْـرُوكٍ بِـهِ ٱلْمَـرْءُ يَبْخَـلُ

ومن كلام سيدنا على بن الحسين الملقب بزين العابدين:

جاء رجل إلى على بن الحسين عليهما السلام فقال له: إن فلانا قد وقع فيك بحضوري، فقال له: انطلق بنا إليه فانطلق معه – وهو يرى أنه سينتصر لنفسه منه – فلما أتاه قال له: ياهذا، إن كان ما قلته فِيَّ حقًا فأنا أسأل الله أن يغفر لي، وإن كان ما قلته فِيَّ باطلا فالله تعالى يغفره لك، ثم ولى عنه عليه السلام. وقال عليه السلام: عجبت لمن يحتمى من الطعام لمضرته، ولا يحتمى من الذنب لمعرته. وقال عليه السلام: أربع عزهن ذل: البنت ولو مريم، والدَّيْنُ ولو درهم، والغربة ولو ليلة، والسؤال ولو: كيف الطريق ؟. وقال عليه السلام: من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس. وقال: صدقة السر تطفيء غضب الرب. وكان يقول عليه السلام:

يَارُبَّ جَـوْهَرِ عِلْـمٍ لَـوْ أَبُـوحُ بِـهِ لَقِيـلَ لِي أَنـتَ مِمَّـنْ يَعْبُـدُ الْوَثَنَـا
وَلاَسْـتَحَلَّ رِجَـالٌ صَـالِحُونَ دَمِـي يَـرَوْنَ أَقْـبَحَ مَـا يَأْتُونَـهُ حَسَـنَا

ومن كلام سيدنا مُحَمَّد الباقر بن على زين العابدين:

ما دخل قلب امريء شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ذلك، قلَّ أو كثر. وقال: صلاح اللئام قبيح الكلام. وكان يقول: والله لَمَوتُ عالم أحب إلى الشيطان من موت سبعين عابداً.

وقال عليه السلام: شيعتنا من أطاع الله. وقال لجابر الجعفي: ياجابر، إني لمشتغلُ القلب، قلت: وما يشغل قلبك ؟ قال: ياجابر، إنه من يدخل قلبه دين الله الخالص أشغله عما سواه، ياجابر: ما الدنيا وما عسى أن تكون ؟! هل هي إلا مركب ركبته، أو ثوب لبسته، أو امرأة أصبتها ؟! ياجابر: إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لزوالها، ولم يأمنوا الآخرة لأهوالها، إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة، وأكثرهم معونة، إن نسيت ذكروك، وإن ذكرت أعانوك، أليسوا قوالين لحق الله، قائمين بأمر الله ؟ فاجعل الدنيا كمنزل نزلت به وارتحلت منه، وكمال أصبته في منامك ثم استيقظت وليس معك منه شيء، واحفظ الله فيما استرعاك من دينه وحكمته. وقال عليه السلام: الْغِنَى والفقر يجولان في قلب المؤمن، فإذا وصلا إلى مكان التوكل استوطناه.

ومن كلامه عليه السلام: الصواعق تصيب المؤمن وغيره، ولا تصيب ذاكرًا الله عز وجل، وما من عبادة أفضل من عفة بطن وفرج.

وقال عليه السلام: بئس الأخ يرعاك غنيا ويقطعك فقيرًا. قال عليه السلام: اعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك. وقال لابنه: يابني، إذا أنعم الله

عليك نعمة فقل: الحمد لله، وإذا أحزنك أمر فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإذا أبطأ عليك الرزق فقل: أستغفر الله. وقال لابنه جعفر الصادق: يابني، إن الله خبأ ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء، خبأ رضاه في طاعته، فلا تحقرن من الطاعة شيئًا فلعل رضاه فيه، وخبأ سخطه في معصيته، فلا تحقرن من معصيته شيئاً فلعل سخطه فيه، وخبأ أولياء الله في خلقه، فلا تحقرن أحدًا فلعله ذلك الولي.

ومن كلام سيدنا جعفر الصادق عليه السلام:

لا يتم المعروف إلا بثلاث: تعجيله وتصغيره وستره. وقال عليه السلام: ما كل من رأى شئيًا قدر عليه، ولا كل من قدر على شيء وفق له، ولا كل من وفق أصاب له موضعًا، فإذا اجتمعت النية والمقدرة والتوفيق والإصابة فهناك السعادة. وقال: تأخير التوبة اغترار، وطول التسويف حيرة، والاعتلال على الله هلكة، والإصرار على الذنب من مكر الله ﴿ فلا يأمنُ مَكْرَ الله إلا القومُ الخاسرُون ﴾. وقال: أربعة أشياء القليل منها كثير، النار والعداوة والفقر والمرض. وقال: صحبة عشرين يوماً قرابة. وقال: كفارة عمل الشيطان الإحسان، إلى الإخوان، وإذا دخلت منزل أخيك فاقبل الكرامة، ما خلا الجلوس في الصدور. وقال: البنات حسنات، والبنون نعم، والحسنات يثاب عليها والنعم مسئول عنها. وقال عليه السلام: من لم يستح عند العيب ويَرعَوِ عند الشيب ويخشى الله بظهر الغيب فلا خير فيه. وقال: إياكم وملاحاة الشعراء فإنهم يضنون بالمدح ويجودون بالهجاء. وقال: من أكرمك فأكرمه، ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه. وقال: إن عيال المرء

أسراؤه؛ فمن أنعم الله عليه نعمة فليوسع على أسرائه، فإن لم يفعل يوشك أن تزول تلك النعمة عنه. وقال: ثلاثة لا يزيد الله بها الرجل إلا عزا: الصفح عمن ظلمه، والإعطاء لمن حرمه، والصلة لمن قطعه. وقال: المؤمن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل. وقال: دعا الله الناس في الدنيا بآبائهم ليتعارفوا، ودعاهم في الآخرة بأعمالهم ليجازوا، فقال:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[1].

ووصى وَلَدهُ موسى عليهما السلام بهذه الوصية: يابني، اقبل وصيتي واحفظ مقالتي، فإنك إن حفظتها تعش سعيدًا وَتَمُتْ حميدًا، يابني، إنه من قنع بما قسم الله له استغنى، ومن مد عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً،ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم ربه في قضائه، ومن استصغر ذلة نفسه استصغر ذلة غيره. يابني، من كشف حجاب غيره انكشفت عورته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتفر لأخيه بئرا سقط فيها، ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم. يابني، قل الحق لك أوعليك، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال، يابني،إن طلبت الجود فعليك بمعادنه، فإن للجود معادن، وللمعادن أصولا، وللأصول فروعاً، وللفروع ثمرًا، ولا يطيب ثمر إلا بفروع الأصل، ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب. يابني، إذا زرت فزر الأخيار، ولا تزر الأشرار، فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها، وشجرة لا يخضر ورقها، وأرض لا يزهر عشبها. وقال عندما

(1) سورة الأعراف آية 99.

سأله المنصور بقوله: ياأبا عبد الله لم خلق الله الذباب ؟ قال : ليذل به الجبابرة.

وقال: عزت السلامة حتى لقد خفى مطلبها، فإن تك في شيء فيوشك أن تكون في الخمول، وإن طلبت في الخمول فلم توجد، فيوشك أن تكون في العزلة والخلوة، فإن لم توجد في العزلة والخلوة، فيوشك أن تكون في كلام السلف، والسعيد من وجد في نفسه خلوة تشغله عن الناس.

وروي مُحَمَّد بن حبيب عن جعفر الصادق بن مُحَمَّد، عن أبيه عن جده، ورفعه، قال: ما من مؤمن أدخل على قوم سرورًا إلا خلق الله من ذلك السرور ملكا يعبد الله ويحمده ويمجده، فإذا صار المؤمن في لحده أتاه ذلك السرور الذي أدخله على أولئك ملكا، فيقول: أنا اليوم أونس وحشتك، وأُلَقِّنك، وأثبتك بالقول الثابت، وأشهد بك مشاهد القيامة، وأشفع لك إلى ربك، وأريك منزلتك في الجنة.

وكان يقول: اللهم بما أنت له أهل من العفو، أولى بما أنا لَهُ أهل من العقوبة.

ومن كلام سيدنا موسى الكاظم عليه السلام:

من كلامه عليه السلام: إن لله عباداً يخصهم بدوام النعم، فلا تزال فيهم ما بذلوها، فإن منعوها نزعها الله عنهم، وحوَّلها إلى غيرهم.

وقال عليه السلام: أَهْلُ المعروفِ إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه؛ لأن لهم أجره وفخره وذكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبتديء فيه بنفسه. وقال: من أجَلَّ إنساناً هابه، ومن جهل شيئاً عابه، والفرصة خلسة، ومن كثر همه سقم جسمه، وعنوان صحيفة المسلم حسن خلقه. وفى موضع آخر: عنوان صحيفة المسلم السعيد حسن الثناء عليه، ومن استغنى بالله افتقر الناس إليه، ومن اتقى الله أحبه الناس. الجمال في اللسان والكمال في العقل. العفاف زينة الفقر، والشكر زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام، والحفظ زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة الورع، وبسط الوجه زينة القناعة، وترك ما لا يعني زينة الورع.

وقال عليه السلام: حسب المرء من كمال المروءة ألا يلقى أحدًا بما يكره، ومن حسن خلق الرجل كفه أذاه، ومن سخائه بره بمن يجب حقه عليه، ومن كرمه إيثاره على نفسه، ومن إنصافه قبول الحق إذا بان له، ومن نصحه نهيه عما لا يرضاه لنفسه، ومن حفظه لجوارك تركه توبيخك عند ذنب أصابك مع علمه بعيوبك، ومن رفقه تركه عذلك بحضرة من تكره، ومن حسن صحبته لك إسقاطه عنك مؤنة التحفظ، ومن علامة صداقته كثرة موافقته وقلة مخالفته، ومن شكره معرفته إحسان من أحسن إليه، ومن تواضعه معرفته بقدره، ومن سلامته قلة حفظه لعيوب غيره وعنايته بصلاح عيوبه.

وقال: العامل بالظلم والمعين عليه والراضي به شركاء. الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت. العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم. من طلب البقاء فلْيِعدّ للمصائب قلباً صبوراً.

وقال عليه السلام: ثلاث تبلغ بالعبد رضوان الله: كثرة الاستغفار، ولين الجانب، وكثرة الصدقة، وثلاث من كن فيه لم يندم : ترك العجلة، والمشورة، والتوكل على الله عند العزم.

وعنه: مقتل الرجل بين فكيه، والرأى مع الأناة، وبئس الظهير الرأي الفطير. ثلاث خصال تجتلب بهن المودة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة، والانطواء على قلب سليم، والناس أشكال وكل يعمل على شاكلته، والناس إخوان، فمن كانت أُخوَّته في غير ذات الله فإنها تعود عداوة، وذلك قوله تعالى: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَومَئِذٍ يَعضُهُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ المتَّقِينَ ﴾[1].

وقال عليه السلام: لا تفسد الظن على صديق قد أصلحك اليقين له. ومن وعظ أخاه سرا قد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه، ومن استفاد أخا في الله فقد استفاد بيتا في الجنة، ومن استحسن قبيحًا كان شريكًا فيه.

وقال عليه السلام: كُفْرُ النعمة داعية المقت، ومن جازاك بالشكر فقد أعطاك خيرًا مما أخذ منك، وما أنعم الله عز وجل على عبد نعمة فعلم أنها من الله إلا كتب الله على اسمه شكرها له قبل أن يحمده عليها، ولا أذنب

(1) سورة سبأ آية 13.

عبد ذنبا فعلم أن الله مطلع عليه، وأنه إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، إلا غفر له قبل أن يستغفره.

وقال: لا يزال العقل والحمق يتغالبان على الرجل إلى أن يبلغ ثماني عشرة سنة، فإذا بلغها غلب عليه أكثرها فيه.

وقال: لا تعاجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا، ولا يطولن عليكم الأمل فتقسو قلوبكم، وارحموا ضعفاءكم، واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة منكم، ومن أمل في فاجر كان أدنى عقوبته الحرمان. وقال: موت الإنسان بالذنوب أكبر من موته بالأجل، وحياته بالبركة أكبر من حياته بالعمر. وقال عليه السلام: الشريف كل الشريف من شرفه علمه، والسؤدد كل السؤدد لمن اتقى الله ربه. وعنه: لو كانت السموات والأرض رتقا على عبد ثم اتقى الله تعالى لجعل الله له منها مخرجًا. وقال: للمحن أخريات لابد أن تنتهى إليها، فيجب على العاقل أن ينام لها إلى إدبارها، فإن مكابدتها بالحيلة عند إقبالها زيادة فيها. وعنه: من وثق بالله وتوكل على الله نجاه الله من كل سوء، وحرز من كل عدو. والدين عز، والعلم كنز، والصمت نور، وغاية الزهد الورع، ولا هدم للدين مثل البدع، ولا أفسد للرجال من الطمع، وبالراعي تصلح الرعية، وبالدعاء تصرف البلية، ومن ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر، ومن غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المنى.

وفى هذا القدر كفاية، وفقنا الله للعمل المرضي والمسلمين بجاه سيد الأولين والآخرين سيدنا مُحَمَّد ﷺ

هذه التصريحات من أئمة الهدى برهان حق وشاهد عدل على أن الإسلام هو الوطن الذي ،سوَّى بين أفراد أهله ممن استظلوا بسماء أنواره الربانية، واستقلوا على أرض عدله ومساواته ونعمته الإلهية، فكلهم سواء في عين الله تعالى، وعند رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، وعند جميع العلماء ممن عرفوا الله تعالى، وكوشفوا بأسرار الحكمة، وعجائب القدرة.

خطبة الرسول ﴿ﷺ﴾ في حجة الوداع:

وإليك القسطاس المستقيم، والبيان الحكيم ؛ وهو خطبة رسول الله ﴿ﷺ﴾ في حجة الوداع التي هي أم كتاب أسرار الإسلام، وسُورُ الأمن وحصن الأمان للمسلمين، والشفاء الحقيقي لكل الأمراض، وها هي بنصها وفصها :

﴿ إِنَّ الْحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَهْدِ الله فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هادىَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَشَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أوصِيكُم عِبَادَ الله بِتَقْوىَ الله، وَأَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعِة الله، وَأَسْتَفْتِحُ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ. أَمَّا بَعْد : أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا مِنى أُبَيِّنْ لَكُمْ، فَإِنِّى لاَأَدْرِى، لَعلَّى لاَ أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عامى هَذَا، فِي مَوْقِفِي هَذَا.

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوالَكُم علْيكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَن تَلْقَوا رَبَّكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلاَهَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ. فَمَن كَانَ عِندَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدَّهَا إِلَى الذي ،ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا، وَإِنَّ رِبَا

الْجَاهِلِيَّة مَوْضُوع، وَإِنَّ أَوَّلَ ربا أَبْدَأُ بهِ ربا عَمَّىَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَإِنَّ دِمَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَة وَإِنَّ أَوَّل دَمٍ أَبْدَأ بِهِ دَمُ عَامِر بْنِ رَبيعَةَ بْنِ الْحَارث بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَإِنَّ مَآثِر الْجَاهِلِّيةِ مَوضُوعَةٌ غَيْرَ السَّدَانَة والسَّقايَةِ. وَالعَمْدُ قَوَدٌ، وَشِبْهُ الْعَمْدِ مَا قُتِلَ بالعَصَا وَالْحَجَرِ ففيه مِائة بَعير، فَمَن زَادَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ. أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَن يُعْبَدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنَّهُ رضي أَن يُطاعَ فِيمَا سِوىَ ذَلِكَ مما تَحْقِرونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ.

أَيّهُا النَّاس : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾[1]. وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ الله السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَإِنَّ عدةَ الشُّهُورِ عِندَ الله اثْناَ عَشَرَ شهراً فِي كِتَابِ الله يَومَ خلَق الله السموات والأرض مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ وَوَاحِدٌ فَرْدٌ؛ ذُو الْقعْدَة وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبٌ الذي ،بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ أَلا هلْ بلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ.

أيها النَّاس: إنَّ لنسائكم عَليكمْ حَقا، وإنَّ لكُمْ عليهن حقا، لكم عَلَيْهِنَّ أن لاَ يُواطِئْنَ فُرُشكُمْ غيركُمْ، ولا يُدْخِلن أحداً تكرهُونهُ بيوتكمْ إلاّ بإذنكُمْ، ولا يَأتينَ بفاحِشةٍ، فإن فَعَلنَ فإن الله قد أذِنَ لكَم أن تعضلوهُنَّ وَتَهْجُرُوهُنَّ في المضَاجِع، وَتَضْربُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِن انتَهَيْنَ وَأَطَعْنَكُمْ فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَإِنَّمَا النِّساءُ عِندَكُمْ عَوَانٌ لا

(1) سورة التوبة آية 37

يَمْلِكْنَ لِأَنْفسِهنَّ شَيْئاً، أخَذْتُموهُنَّ بأَمَانَةِ الله، وَ اسْتَحْلَلْتُمْ فَرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ الله، فَاتَّقوا الله في النِّساءِ وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْراً. أَيُّهاَ النَّاسُ : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَة، فَلاَ يَحِلُّ لِا مْرِئٍ مَالُ أَخِيهِ إِلاَّ عَنْ طِيب نَفْسِهِ أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ. أَيُّهُاَ النّاسُ : إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَباكُمْ وَاحِدٌ، كُلُّكُمْ لآدَم وآدَم مِن تُراب. أَكْرَمكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمْ، لَيْسَ لَِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ فَضْلٌ إِلاّ بِالتَّقْوَى. أَلاَ هَلْ بَلّغْتُ ؟ قَالوا : نَعَمَ، قَالَ : فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ مِنكُمُ الْغائِبَ.

أَيُّها النـَّاس: إِنَّ الله قَسَمَ لِكلِّ وَارِثٍ نَصِيبَهُ مِنَ الْمِيرَاثِ، وَلاَ يَجوزُ لِوَارِثٍ وَصِيَّة في أَكْثَرَ مِنَ الثّ ُلُثِ. وَالْوَلَدُ للْفَراشِ وَ لِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ. مَن دُعِيَ لِغَيْرِ أَبِيه أَوْ تَولَّى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَ الْمَلاَئِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يَقْبَلُ الله مِنْهُ صَرْفاً وَلا َعَدْلاً وَالسلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ).

من تدبر معانيها، وأمعن النظر في مبانيها، وتناول بروحه من طهور شرابها، يظهر له الحق جليا، والهدى بيِّناً لا خفيا، ويَحْكُم حُكْماً عدلا أن الإسلام هو الوطن الذي ،يجب أن يُحْمَى حماه، ويوالَى من والاه ويعادَى من عاداه، ويبذل كل مسلم النفس والنفيس لإعلائه، وتجديد سنته حتى يظهره الله على الدين كله، ولو كره المشركون. به السعادة والعز والسلطان في الدنيا، ونيل الخير الحقيقى والمجد الأبدي في الدار الآخرة، ومن تساهل فيه أو تهاون، فكأنما انحط من السماء، فتهوي به الريح في مكان سحيق، وتخطفه الشياطين.

وإن ظن – لسوء فهمه وظلمة عقله – أنه ينال العز بسبب تفرقة الجماعة في الدين،أو التقرب لأعداء وطنه العزيز الذي ،هو الإسلام : فإنما ذلك عز يتخيله حيوان، يؤكل لحمه، يعتني مالكه بغذائه وشرابه ليسمن فيذبحه، ولو علم الحيوان الأعجم سر عناية الإنسان بأكله وشربه، والمحافظة عليه من السباع لألف السباع، واستوحش من بني الإنسان.

ولكن الإنسان قد تبلغ به الجهالة إلى حالة ينحط فيها عن الحيوان الأعجم؛ فيفرح بزهرة عاجلة يعقبها الذل الأبدي، والعذاب السرمدي، وسخط رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾

الباب الرابع
في المعاملة والإنسان
الفصل الأول
في المعاملة

تقدم لنا في البيان السابق – في غير هذا المختصر – أن أساس الإسلام أربعة : العقيدة، والعبادة، والمعاملة، والأخلاق. وقد فصلت جملا من البيان في العقيدة، وفي العبادات، وأستعين بالله تعالى مستمدًا من روحانية رسول الله ﴿ﷺ﴾ في بيان ما لا بد منه من المعاملات، والله ولى التوفيق، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المعاملة :

هي ميزان الأحوال والأسرار، ومعيار اليقين والإيمان، وبرهان المعرفة والمراقبة، ودليل العلم والمحاسبة، بها يظهر المزيد من الإيمان، وبتركها يثبت النقصان.وقد حصر رسول الله ﴿ﷺ﴾ الدين في المعاملة، قال ﴿ﷺ﴾ : (الدينُ المعاملةُ) هذا الحصر حقيقي، لأن العارف بالله تعالى يعامل الله في كل شأن من شؤونه، فهو يراقب أحكام الله في جميع أعماله، ويراقب الله تعالى في كل خطراته ونفثاته وسكناته وحركاته، وما من عمل من الأعمال بين العبد وربه، أو بين العبد ونفسه من تزكيتها ومجاهدتها على العمل الأفضل، أو بين العبد ووالديه وأولاده، أو بينه وبين جيرانه، أو بينه وبين عامة الناس وخاصتهم : إلا ولله

فيه حكم يجب أن يقوم به. فالعبادات معاملة بين العبد وربه. وعقد القلب على العقيدة الحقة معاملة بين العبد وربه، والسعي بالتكسُّب وجلب المنفعة ودفع المضرة معاملة بين العبد وغيره إطاعة لله وتنفيذاً لأحكامه سبحانه وتعالى. فظهر الحصر، وإذاً فالدين المعاملة حقاً، ولا دين لمن لا معاملة له حسنة، ومن علم أن لله في كل شأن أو علم حكما وخالف حكم مولاه كيف يكون مسلما كاملا؟! ومعلوم أن العمل – مع مراقبة أحكام الله والخشية من الله والإخلاص لله كائناً ما كان العمل –شكر لله، قال الله تعالى: ﴿ اعملُوا آل دَاوُدَ شُكْراً وقلِيلٌ مَّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1] فالصانع في مصنعه، والزارع في مزرعته، والتاجر في سوقه، والأمير على منصته، والعابد في محرابه، والعالم في جماعته، إذا علموا أحكام الله في المعاملات، وأخلصوا العمل لوجه الله كانوا من أهل الشكر القليلين الذين أثنى الله تعالى عليهم ومدحهم في القرآن المجيد، وبشرهم بالفضل والرضوان الأكبر. وكل عامل من هؤلاء – إذا لم يعلم أحكام المعاملة ولم يراقب الله سبحانه وتعالى في أعماله ويتَّقِه سبحانه – كان من الغافلين، ولو عمل ألف سنة، قال الله تعالى : ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [2].

الآيات الدالة على نيل السعادة بالعمل :

قال الله تعالى:﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾[3] وقال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ

(1) سورة سبأ آية 13.
(2) سورة الحج آية 37.
(3) سورة الإسراء آية 19.

الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾[1]. قال تعالى : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾[2] وقال جل وعلا : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾[4] وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا ﴾[5] وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[6] وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [7] وقال تعالى : ﴿ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [8] وقال تعالى : ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾ [9].

وقال ﴿ﷺ﴾ : "إنكم لاَ تَسَعُونَ الناسَ بأموالِكم، ولكن لِيسعْهم منكم بسطُ وجهٍ وحسنُ خُلقٍ " وقال ﴿ﷺ﴾ : " إن الله حرَّم من المؤمن ماله ودمَه وعِرْضَه، وأن نظنَّ به ظنَّ السوءِ ".

---

(1) سورة الشورى آية 20.
(2) سورة النجم آية 39 – 41.
(3) سورة الحاقة آية 24.
(4) سورة الأحقاف آية 19.
(5) سورة سبأ آية 37
(6) سورة الأعراف آية 43.
(10) سورة السجدة آية 17.
(8) سورة العنكبوت آية 58 – 59.
(9) سورة الأنعام آية 127.

وفي الخبر عنه ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ : " من أكرم أخاه المؤمن فإنما يكرم الله تعالى " وعنه ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ :

" من سر مؤمناً فقد سر الله تعالى " وقال ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ : " المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يخذله، بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ".

وفى حديث عليّ عليه السلام عن رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ قال : " مَن عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته ".

مزيد بيان في المعاملة :

بَيَّنَّا أن كل أركان الدين وأسسه معاملات : إما بين العبد وربه سبحانه وتعالى بعقد القلب على حقيقة التوحيد، أو بما أوجبه سبحانه وتعالى للتقرب إليه وشكره على ما وهبه ومنحه من النعم. أو معاملة بين العبد ونفسه لربه، من مجاهدتها وتزكيتها وتطهيرها من لقسها وتحملها بالوسط من كل شيء حتى لا تنزع إلى سجاياها المهملة وجبلتها التي تهوي بها في هاوية الجهالة. أو معاملة بين العبد وأهل منزله من والدين وزوجة وأبناء وخدم حتى يكون المجتمع المنزلي مجتمعًا فاضلا يمثل أمة راقية عاملة لله، مسارعة في الخير، وتلك المعاملة لله سبحانه وتعالى إطاعة لأمره عملا بأحكامه. أو معاملة بينه وبين أهل المدينة الذين لا يستغنى عنهم من صناع وتجار وزراع وعَمَالة. وتكون معاملته عند المبادلات التي تقتضي المعاوضات

والمفاوضات بعاطفة تمنع الوقوع في الخصومات، وتدعو إلى حب الخير العام، تجعل كل فرد من أفراد أهل المدينة كعضو متمم للجسد الذي ،يمثله سكان المدينة ؛ لأن كل فرد من سكان المدينة لكل فرد آخر كعضو متمم للجسد نافع له، وتكون تلك المعاملة عملاً لله تعالى أو مسارعة إلى نيل مرضاته سبحانه وتعالى، وتجملا بأخلاقه الربانية.

وقد سبق لي الكلام على أنواع المعاملات كلها في كتاب: (أصول الوصول) من حيث المجتمع المدني، فبينت أحكام البيع والشراء، ووجوه التصريف في المعاش، وشرحت ما يتعلق بذلك من حيث العقيدة والعبادة، بشرط ذلك وأركانه وفرائضه وسننه وما يصح به وما لا يصح.

أما المعاملة بين المسلم ونفسه وبين المسلم وأهل منزله، فقد بينت ذلك في : (معارج المقربين) بياناً شافياً، بحيث لو اطلعت عليه ياأخي وعملت به لمثلت ملكاً مطاعاً محبوباً في رعيته، أو أشبهت نبيا رءوفا رحيما في قومه، أو كنت أباً عطوفا شفيقا على أبنائه، وكان لك أفراد الأسرة رعية مطيعين، أو أبناء بررة، أو مؤتمين مهتدين مقتدين بهديك. وقد بينت الواجب على المسلم لنفسه، ولله سبحانه ولرسوله ﷺ ولخاصة المسلمين وعامتهم، بتفصيل جلي في كتاب : (النور المبين)، ولكني مع هذا كله لا أخلي هذا المختصر من مزيد بيان لمن أراد المزيد من فضل الله تعالى.

مراقبة العامل :

كل حي يطلب الخير لذاته لا لشيء آخر سوى أنه خير، والناس يتفاوتون في مراتب العلم بالخير، وأكمل الناس علما من عرف الخير الحقيقي وطلبه لذاته، لا لشيء آخر سواه. والخير الحقيقى هو المقصود للكل، والخير في الحقيقة أولا وبالذات هو الله سبحانه وتعالى. ومن طلب الله سبحانه وتعالى طلبا بإخلاص لذاته العلية، بين الله له سبل الخير ويسرها له، فكان عاملا من عمال الله تعالى، وبابا من أبواب الخير، وتتفاوت مراتب المسلمين في طلب الخير حتى يكون أدنى مسلم من يطلب العاجل من الخير ويطمع أن ينال خير الآخرة. وكأن كل مسلم بمعاملته لأخيه المسلم يرجو أن ينال منه خيرين : خيرا عاجلا تدعوه إليه الحاجة، وهو الذي ،تكون فيه المبادلة فيها، وتحصل المفاوضة وقد تؤدي إلى معارضة ومنازعة، والخير الثاني أن يكون في معاملته على سنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، عاملا بكتاب الله، لينال ما وعد الله عباده المخلصين من الجزاء الحسن الجميل يوم الدين، ويرجع بود أخيه وحبه.

فالمسلم حقًا من يجعل همه في أن تكون معاملته على سنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، وعلى كتاب الله تعالى، وأن ينال بمعاملته ما وعده الله من الجزاء، وأن يدخل السرور على قلب أخيه أكثر مما ينال حظه وعرضه من أخيه، حتى لا يرجع وقد غلب أخاه وحرمه من الفائدة التي يلزم أن تكون مبادلة بينهما، فيحرم ثواب الله لمخالفته لسنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾،وعمله بغير كتاب الله تعالى.

فالمسلم عند دخوله في المعاملة لابد أن تكون له نية خالصة في أن ينال الخيرين، وأن يكون خير الآخرة أكثر وأعظم من خير العاجلة، وبذلك تكون معاملته عبادة لله، ويرجع برضوان الله تعالى وبالخير الحقيقي لدينه ودنياه وبدنه وأهله، فيأكل طعاماً حلالا، ويطعم أهله طعاماً حلالا، فيرزقه الله أبناء بررة، وزوجة صالحة، وجيرانا صالحين، وعافية في بدنه وأهله من غدر الأشرار، ويجعله محبوبا عند الناس معظما مسموع الكلمة. كل تلك لم يربحها إلا بحسن النية في المعاملة، وبقصده أن يجعل الخير بينه وبين أخيه المعامل له، فينافس في الخير الباقي، ويتساهل لأخيه في الخير الفاني، فيكون قد ربح شيئاً قليلا في الدنيا، وربح ربحا عظيماً بحسن معاملته في الآخرة.

أما المسلم الذي ،يعامل أخاه المسلم، عازمًا أن ينال كل الخير ويحرم أخاه من الخير، باذلا ما في وسعه من القوة والمكر والحيل والشفعاء في نيل غرضه، حتى يخدع أخاه ويرجع هو بخير الدنيا جميعه، ويحرم أخاه من نصيبه، فإنه يرجع منشرح الصدر بما نال من الخير ومن حرمان أخيه، فيأكل طعامًا حرامًا ويطعم أهله طعامًا حرامًا، فيكون أبناؤه أشرارًا وجيرانه أشرارا فيسلط الله عليه أهل الشر، فلا يستريح نفسًا من عناء الدنيا وينفق هذا المال في خصومات وقضايا، أو في التداوي من الأمراض، أوفى معصية الله تعالى، ويسلط عليه أبناؤه وأقاربه فيعيش في حزن وبلاء حتى يلقى الله يوم القيامة فيجازيه الجزاء الأوفى، فيكون ما ناله من خير الدنيا – مع حقارته ودناءته – سببًا في البلايا والمصائب في الدنيا، والعذاب الأليم يوم القيامة.

فتنبه ياأخي، واعلم أن حسن المعاملة وحب الخير لأخيك المسلم لا ينقص مالك ولا عمرك ولا جاهك، ولكنه يكسبك السعادة والراحة وإخوان الصدق، الذين ينصرونك فيكونون لك أعوانًا وكنوزًا وزينة في الدنيا، وتنال ياأخي رضوان الله والفوز بنعيمه في الآخرة، فكأنك – بحسن معاملتك وحبك لأخيك ما تحب لنفسك – صرت سيداً عظيماً في الدنيا، ومنعما بالنعيم المقيم في الآخرة !! فما أيسر ما بذلت !! وأجمل وأحلى وألذ وأكمل ما نلت في الدنيا والآخرة !! ولو نظرت بعين بصيرتك إلى بيوت العز والمجد والشرف، وعلى ما شيدت، لتحققت أنها أسست على التقوى ومحبة الخير لعباد الله، والتساهل في المعاملة والعفو عن الناس، والتشديد على النفس في عمل الفضائل، وأن المعاملة قد تبلغ بالعبد مبلغاً تجعله منظوراً بعين الإجلال والإعظام حتى يعتقد الناس أنه ليس من مرتبة الناس بل هو من الملائكة، ولا عجب، فإن جمال الخَلق دون جمال الخُلق، وقد قال النسوة لسيدنا يوسف لجمال خلقه : ﴿ إِن هَذاَ إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[1] فكيف بمن جمل الله أخلاقه ؟!.

وأنت ياأخي إذا جملك الله بحسن المعاملة، فقد أعدك لمراتب القرب، ومنازل الحب، وأهَّلك سبحانه وتعالى لأن تكون سيداً عظيماً كريما عنده سبحانه، وكريما على خلقه، وبحسن المعاملة تعيش ياأخي عن أشرار الخلق محفوظاً من كل ضر، كل ذلك ياأخي من حسن المعاملة. وسوء

(1) سورة يوسف آية 31.

المعاملة يجعل الوالد يبغض ابنه وهو أرحم الخلق به، والأم تكره ابنها وهى أشفق الناس عليه، وقد تدعو عليه بالموت.

إذا كان سوء المعاملة ياأخي يجعل الوالد الرحيم عدوا لدودا وخصيما غريما، فكيف يجعل غير الوالد ؟! وإذا كان حسن المعاملة ياأخي يجعل العدو البغيض البعيد صديقاً حميما وأخا رفيقاً وحبيبا، فكيف يكون تأثير حسن المعاملة على الأقارب ؟! فقد يبلغ حسن المعاملة من الغريب للقريب فيجعله يفدي ماله بماله ونفسه بنفسه. هذا ما ينال المسلم من الخير بحسن معاملة إخوته المؤمنين في الدنيا ﴿ فلاَ تَعلَمُ نَفسٌ مَّا أُخْفِىَ لَهُم مَّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يعملُونَ ﴾[1] يوم لقاء الله تعالى.

نبذة من معاملة المقربين :

المقربون يخافون الله في خلقه، ولا يخافون الخلق في الله، وهكذا يحبون الله في خلقه ولا يحبون الخلق في الله، ويتقربون إلى الله في خلقه ولا يتقربون للخلق في الله، فهم في جميع أحوالهم يعاملون الله في خلقه، منحهم الله الرأفة والرحمة التي ورثوها من العلم عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، والمحافظة على كمال اتباعه ﴿ﷺ﴾ والاقتداء به، فتراهم يحرصون في مجالستهم للخلق ومعاشرتهم على الفوز برضوان الله الأكبر، ببذل ما في وسعهم في الخير لجليسهم وعشيرهم، فهم العلماء الرحماء الحلماء الحكماء، ويراقبون الله في كل أنفاسهم ولحظاتهم، ويسارعون إلى مغفرة من ربهم وجنة عرضها السموات

(1) سورة السجدة آية 17.

والأرض، ويتعاونون على البر والتقوى، كما قال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِ والتَّقْوَى وَلاَ تَعَاونُوا عَلَى الإِثمِ وَ العُدْوَانِ ﴾[1].

أحبوا لكل أخ من المسلمين ما يحبونه لأنفسهم، وبدأوا بإيثار جليسهم وعشيرهم بالخير على أنفسهم، كما قال تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أنفُسِهِم وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَة ﴾[2] يجوع الرجل منهم ليشبع أخاه، ويتعب ليريحه، ويسهر لينام أخوه لا يقصدون بذلك من الخلق جزاء و لا شُكُوراً، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا نُطْعمكُم لَوِجْهِ الله لاَ نُرِيدُ مِنكُم جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً ﴾[3].

ولهم في تلك المعاملة مشاهد روحية، ومراقبات عن عين اليقين، فهم في مزيد من المسارعة والتعاون، لأن الله سبحانه وتعالى يواجههم في كل أحوالهم، مواجهة يقوى بها حالهم، وهمهم وإقبالهم ورغبتهم في الله وفيما عند الله.

أسأل الله تعالى أن يمدنا بروح منه، حتى نكتب نبذة من مشاهد المقربين ومعاملتهم لله في كل أحوالهم وأطوارهم وشؤونهم إنه مجيب الدعاء، وصلى الله علي سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

وهنا يحسن بنا أن نكتب ما سبق لنا كتابته تحت عنوان : الإنسان.

(1) سورة المائدة آية 2.
(2) سورة الحشر آية 9.
(3) سورة الإنسان آية 9.

الفصل الثانى
الإنسان

الإنسان وما أدراك ما الإنسان :

الإنسان حيوان كَيْفًا وضروريات، مَلَك مقاما وخصوصية إن كان مسلما عارفا، وتحقق نسبه، وعمل بالقرآن. وهو إبليس حظا وهوى إن جهل واستغنى. الإنسان قطب مدار العالم إلى أدنى مراتبه، ينتهى إلى ما دونه من الحيوانات ليكمل في نوعه وتتولى مؤانسته العلويات إذا كمل، وكماله بالعلم الحقيقي، المؤيد بنور الحق، المطهر للنفوس من فساد الأخلاق، المزكي لها من سوء الاعتقاد، حتى تطمئن القلوب إلى الله سبحانه وتعالى، وتنفطر النفوس على حب النفع العام الذي ،يؤول بالعامل إلى التلذذ بالحياة الأبدية في روضات النعيم المقيم، بين الملائكة المقربين الذين يدخلون عليه من كل باب بالتسليم والتعظيم.

ولا عجب، فالإنسان بين نوعه قد تدفعه نفسه الفاضلة، وأخلاقه الكاملة، وعقيدته الحقة، ومعاملته الحسنة، وحبه لخير عامة بني نوعه والخلائق أجمعين إلى رتبة الإجلال والإعظام والحب، حتى يفدي بالنفوس والأموال لما تحمل به من الصفات المحبوبة للنفوس، والأخلاق المقبولة للإنسان، وهو منهم وبهم، ينظرون إليه نظر الإكبار والإعظام، وهو غريب عنهم، بعيد النسب منهم، وإنما قربته أخلاقه ورفعته أعماله، ورقته أحواله، لا ينكر فضله إلا عمي الطرف عن الفضيلة، كليل البصر عن المكارم، محب لذاته، مبغض للخير العام والإحسان الحقيقي.

بينما نرى الآخر من الإنسان قد قلاه أرحامه، وكرهه أقاربه، وملّه عشراؤه، وسعى في ضرره أبناؤه، فكأنه مرض معد أو بلاء مؤذ، وهو القريب النسيب الحسيب، ما هذا ؟ ما ذاك إلا لأنه انحط عن أدنى مراتب الإنسان حتى التحق بأضر الحيوانات،أو أشر الشياطين.

فالإنسان ملك وأعلى، وحيوان وأدنى، وشيطان وأضر، والمقتضيات لا تخفى على إنسان بمعناه الحقيقي. وإني ليدهشني ويذهل عقلي أن أرى الصورة الآدمية في حضيض الأرذلين وأسفل سافلين، وسبل رقي الإنسان واضح مناهجها، وبين منارها، ظاهر طريقها، والإنسان من نفسه يشعر بذلك ويحس به، ولكن ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ [1] يبيع حظ النعيم المقيم المحقق، يعاجل أمل يزول مشكوك فيه، لجهله بنفسه، واحتجابه عن ربه، وغفلته عن المآل ونسيانه للمبتدأ.

أنت أيها الإنسان بكمالك السهل عليك تخدمك الملائكة لمكانتك وقربك من ربك، وكيف لا ؟ ! وقد جعلك الرب جلَّ خليفة في أرضه، وجعل لك ما تشاء عنده، خلقك في أحسن تقويم على صورته بمعاني صفاته، وسخر لك ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه، وهو القريب لك منك والمجيب لك عنك، أباح لك ما لا بد لك منه وأكمل، وحظر عليك ما أنت في غنى عنه مما هو مضر لك، وكلفك سبحانه من العبادات والقربات ما هو في طاقتك ووسعك، وحبب إليك الفضائل التي ينافس فيها

(1) سورة عبس آية 17.

العالمون، ويبذل لأجلها النفس والنفيس المقربون، لا لحاجة إليها سبحانه وافتقار، بل ليجعلك خليفة له، ويجملك بأخلاقه، ويقربك إلى حضرته، ويؤانسك بمشاهدته، ولم يكن ذلك الذي ،رغبك فيه وحببه إليك، إلا قياماً بنفع عام وخير شامل للعالم أجمع، ليشعر قلبك الرحمة والحنان، ويكاشفك بأنه الفاعل المختار لكل شيء، وأن العالم كله كلمة من كلماته، ومظهر من مظاهر آياته، وصور تنبئ بقوته وقدرته، وبديع صنعه، وانفراده سبحانه بالإيجاد والإمداد.

التكاليف الشرعية التي أوجبها الله علينا :

ما الذي ،كلفك به وأوجبه عليك ؟:

النطق بالشهادتين : عن قلب صادق بتوحيد الحق سبحانه،وتنزيهه عن الشبيه والند والمعين والكم والكيف، تنزيها تعظم مكانته عن التمثيل والتجديد والحلول، والافتقار إلى الآلة والتفكير، حتى ترى بنور بصيرتك علو هذا المقام العلي، وعزته وعظمته عن الإدراك والتجديد والحيطة، فتتحقق بالعجز عن الإدراك، وهو الإدراك مع كمال اليقين بالتمكين بالعلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه.

كما أوجب عليك شكره :

بصلاة : في آنات تذكرك قدرك بالنسبة لجنابه العلى، وتحفظ قلبك من الغفلة عن مرتبتك، والغرور بنعمته عليك بانتسابها لك، ناسياً أو متناسياً وبصيام : ينبه قلبك أنك تحت أمره، ومسير بطاعته، وتشعر به

بكمال افتقارك للإمدادات الربانية، واحتياجاتك إلى إحساناته الوداديـة، وتتجمل به بمكارم الأخلاق، وبالعطف على المعوزين والبؤساء، فيكون هذب نفسك وزكاها، وجملك بالعطف والرحمة والشفقة.

وبزكاة : تذوق فيها لذة الخلافة عن ربك، وحلاوة الغنى به عن خلقه، وتستجلب بها محبة عباده، وتأليف قلوب إخوانك المسلمين.

وبحج : تبلغ به درجة الهجرة، فتكون مهاجراً إلى الله، ومنزلة التجرد من كون الفساد والفناء، ومقام الإقبال بوجهك على مولاك، وترك ما سواه وراء ظهرك، ومنزلة بذل النفس والنفيس في استجلاب مرضاة ربك، مستصغراً كل ذلك في أقل حظوة تحظى بها من سيدك ومولاك.

هذا كله أوجبه عليك شكراً لنعمائه، وذكراً لأسمائه، وثناء له على آلائه.

القربات التي بها تكون قريباً من الله :

رغبك في قربات بها تكون قريباً منه ومقرباً إليه ومحبوباً لحضرته العلية، وهى:

1- بر والدين بهما إيجادك، ومنهما إمدادك،حتى تكون مجبولا على شكر المنعم، فتفهم كيف تشكر ربك سبحانه، ويكرمك ربك في أولادك كما أكرم بك والديك.

2- صلة رحم تدلى إلى أصولك صلة لوالديك وبرا بهما، وتمام شكر لنعمة الله عليك بالوالدين.

3- صلة توصلك إلى الله وإلى الناس، وتقربك من الخالق وخلقه، بها تجد لك ظهيراً من الله ومن عباده،ويمن الله بها عليك بالبر من حضرته العلية ومن جميع خلقه، وتتعطف عليك بتلك العاطفة قلوب العالم أجمع، فتكون بذلك سيداً مطاعاً في أقاربك، ووالداً رحيما لآلك، بها تكون متخلقًا بأخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام، معاناً عند الشدة، منصوراً عند المخاصمة، فتعيش سعيداً بيسير تبديه، وقليل من فضلك توليه، وتكون لك اليد العليا والمقام الأعلى، فما أقل ما تصل به ؛ وأعظم ما يصل إليك !!.

4- رغبك في إكرام جيرانك بإسبال الستر على عوراتهم، وغض البصر عن مستورهم، والتباعد عن مفاخرتهم بالمال أو النسب أو العلم أو العمل أو المنصب، بل تكون لهم كما تكون لأرحامك، تمد لهم يد المعونة عند الحاجة، وتشاركهم في فضل النعمة التي منَّ الله بها عليك، وتساعدهم في ضرورياتهم وكمالاتهم، زاهدًا ما في أيديهم إلا إذا تفضلوا فاقبل وكافيء، واشكر، أو دَعْ وتودد. تنازل لهم عن حقوقك إدخالا للسرور عليهم، وابذل لهم حقوقهم عن طيب نفس وانشراح صدر، معاملا مولاك، راغبا في رضاه سبحانه، فإن الله يجزي من أحسن إلى جاره، ويجاوره في فردوسه الأعلى.

5- الرحمة بالعمال الذين ولاَّك الله أمورهم، هذه الصفة هي أم الصفات من مكارم الأخلاق، لأن معاملة العمال بالحنان والعاطفة والرفق دليل على رقة القلب، وعلم العامل بأنه عبد لمولاه، وأن الذي ،رأسه على هؤلاء قادر أن يجعله أجيرا حقيراً، فيشكر المنعم بالإكرام لعماله، والإحسان إلى المحتاجين لمعونته، وإلى القائمين بخدمته، فإنهم شركاء في الإنسانية، مشاكلوه في الآدمية، يسرهم ما يسره من الرحمة، فإذا شاهد هذا المشهد حفظ الله عليه النعم، ووسع له الرياسة، حتى يجعله سيد أهل عصره وعظيم أهل زمانه، ويزيد على ذلك ما يناله من الفضل العظيم بعد السيادة، والعظمة والإجلال من الفضل العظيم، والنعيم المقيم عنده في دار الخلد في جوار الله ومعية رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وتلك المعاملة بأن تحملهم دون طاقتهم، ولا تعاقبهم إذا تساهلوا، بل تضع نفسك موضعهم، وما تحب أن تعامل به فعاملهم به، وتغض بصرك عن هفواتهم، وتديم لهم البشر والانشراح والتنشيط، حتى يكون عملهم عن قلب مخلص وضمير مستريح، فتفوز بنجاح عملك ومحبة عمالك، وتعزيز جانبك وحسن السمعة في الدنيا، والمثوبة في الآخرة.

6- رغبك في بذل الفضل من عملك ومالك وجاهك عند مقتضى ذلك، ويكون لمن له عليك حقوق مؤكدة، فإنك ببذلك الفضل منها يزيد علمك ويعلو قدرك وتكثر أنصارك، وتكون عاملا للنفع العام، قائماً بحقوق الخلافة عن ربك، ورغبك في ذلك وجعله من الفضائل الدينية إذا بذلته للعامة والخاصة بدون استشراف إلى جزاء أو مكافأة، إلا محض المثوبة من

الله وطلب رضوانه، والحب في الاتصاف بأخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام، والشعور بأنك جزء متمم لأعضاء الأمة، يعود عليك نفعها كما يعود النفع من صحة البدن على العضو منه، وأهم ما تتقرب به في بذل فضل العلم بذله للعامة المحتاجين إليه، ليزول جهلهم بما وجب عليهم من العقائد والأخلاق والعبادات غير ملبس عليهم المسائل، ولا مشوش عليهم، حتى ينتفعوا بعلمك وعملك، وبذلك تكون نجاة لكثيرين، ونورا لأهل زمانك.

وأحب استعمال الجاه إلى الله أن تصلح به بين المتخاصمين، وتجمع به بين المتفرقين، وتنقذ به المظلومين من أيدي الظلمة حكامًا كانوا أو جبارين، وتستعلمه في بث روح التودد والتأليف بين المسلمين، وتعين به على نوائب الحق.

وأحسن ما يقربك إلى الله من بذل فضل مالك، أن تحمل به الكل، وتؤوي به الغريب، وتغني به العائل، وتساعد به المرضى، وتربي به الأيتام، وتجيب به السائل، وتغني به العائل، وتعطف به على الضعفاء، ويكون أكمل عند الله لو فعلت ذلك في أهل والديك، وأهل الفضل الذين ذهبت أموالهم.

7- رغبك في حسن المعاشرة والمجالسة، أما حسن المعاشرة فقد أكد الله سبحانه وتعالى ذلك للزوجة والخادم والأجير والأهل والجيران، بها تعيش منشرح الصدر في الدنيا في رغد العيش ولو كنت فقيراً، وصفاء الوقت ولو

كنت غريباً، يتسع بها الرزق ويستريح بها القلب، وتقوم بها بحسن الهداية فيما استرعاك الله تعالى، فتبدل العقوبة بالنصيحة أو العتاب، وبالجفوة غض البصر أو التسامح، بتقدير أن ذلك عن سهو أو خطأ، غاضا طرفك عن الهفوات والتقصيرات التي لا تغضب الله، ولا تغضب إلا لله شاكرًا لله على أن جعل لك زوجة وخدمًا، مستعيناً به سبحانه على حسن رعايتهم ولطف معاملتهم، فتكون أمينا على ما استرعاك الله ﷻ، فيوسع الله لك العطايا ويزيدك من فضله، والله ذو الفضل العظيم.

آداب حسن المجالسة:

أما حسن المجالسة فقد قال رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾: " إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة، فلا يحل لأحدهما أن يفشي على أخيه ما يكره ".

فآدابها:

1 – أن لا يعين ظالماً على ظلمه، ولا يفتح باب شر على أحد من الناس أمام من يمكنه أن يؤذيه، ولا يذكر غائباً بسوء إلا إن كان مفتضحا وسئل عنه على سبيل نصيحة أومشورة.

2 – ويلزم أن يغض بصره في المجلس عن عورات المجلس، خصوصًا إذا جلس مع رجال ونساء، فيجب عليه أن لا يحدق ببصره إلى النساء، ولا أن يصغى بأذنيه إلى اثنين يتكلمان في المجلس إلا إذا دعواه إلى سماع الكلام.

3 – ومن آداب المجالسة أن لا يتكلم سرا مع جليسه إذا كان معهما ثالث، فإن ذلك يحزنه، ولا يتكلم معه بلغة لا يفهمها الثالث، وليجتنب اللمز والهمز والإشارة باليد أو بالعين أو اللسان، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[1]

4 – وعلى المسلم أن يكون باشا طلق الوجه لمجالسيه ماداموا في خير، فإذا تكلموا في غير الخير فالواجب عليه أن يذكرهم بحكمة، ويبين لهم شر التكلم فيما يضر ولا ينفع، أو يصمت إن خاف عنادهم، أو يفارق المجلس إن كان ذلك لا ضرر فيه عليه.

ومن آداب المجالسة أن يجتهد المسلم في إدخال السرور على جليسة بقدر استطاعته، فلا يذكر عورة من عوراته يريد بها احتقاره، ولا ينتقد عليه في عمل مباح عمله، قال ﴿ ﷺ وآله﴾: " إن الرجلَ ليقوُل الكلمةَ في المجلسِ لا يلقى لها بالاً يضحك بها الناس، يهوي بها في النار سبعين خريفًا ".

(1) سورة الحجرات آية 11.

الآداب التي يراعيها المسلم مع جلسائه:

وجلساء الرجل إما أن يكون مضطرا أن يجالسهم أو غير مضطر، أما جلساؤه الذين لابد له من مجالستهم، فكمن معه في مزرعة أو صناعة، أو شركاؤه في تجارته أو معه في بيت واحد، وقد تقدمت الأحكام الشرعية المتعلقة بأحكام المعاملات في كتاب: (أصول الوصول).

وفى هذا الموضع نبين الآداب التي يراعيها المسلم مع جلسائه:

1 – فإخوانك الذين معك في الصناعة أو المزرعة أو التجارة يلزمك أن تجتهد في استجلاب مودتهم لك، وحبهم بما يمكنك مما لا يغضب الله، و لا يخالف السنة.

2 – ويجب عليك أن تحفظ لسانك عن ذكر عوراتهم وهفواتهم أمامهم أو خلفهم، فإن كل إنسان لا يخلو من عيوب يجتهد أن يخفيها عن الناس، ولكنها تظهر قهراً عنه، وإنما المعصوم رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾

3 – وكما أنك ياأخي تحب أن تخفي صغائرك وهفواتك عن الناس، فالواجب عليكأن تخفي هفوات أخيك وصغائره وعيوبه عن الناس وعنه في حضوره ما دامت ليست مما يضره دينا ولا دنيا، فإن كانت تلك الأعمال مما يضره دينًا أو دنيا فالواجب عليك أن تختلي به وتنصحه بطريقة يقبلها، لا تريد بذلك احتقاره ولا تهديده والتنديد به.

4 – ومن أكمل صفات أهل الأدب أن يحفظوا سر المجالس، ومن أقبح صفات أهل النقائص أن الرجل يجلس في المجلس ثم يقوم منه فينشر أخباره لكل من لقيه، وقد يبلغ الجهل ببعض الحمقى أنهم ينشرون معاصيهم ورذائلهم حتى خلوتهم بنسائهم، يقول ﴿ ﷺ وآله﴾:"المجالس بالأمانات " وورد : " إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أسبل الله عليه ستره فكشف عنه ستر الله " ومعنى ذلك أن الرجل يعمل المعصية ليلا أو في خفاء عن الناس ثم يخرج فيذكر عمله للناس.

5 – ومن محاسن الآداب في المجالسة أن لا يتجسس المؤمن ولا يتحسس، وأن يجتهد المؤمن أن يجعل في كل مجلس جلس فيه عملا صالحاً يرفع له من ذكر الله، ونصيحة أخ، أو رد غيبة عن أخ صالح، أو توبة عن ذنب عمله في المجلس.

6 – ومن آداب المجالسة أن يتباعد الرجل عن الجلوس بجوار زوجة غيره، ولا يسارع إلى قضاء حوائجها مادام معها محرم لها، ولا يلامس جسمها لمعاونتها في مشي أو ركوب أو نزول إلا إذا كان محرما لها، وإذا دعت الضرورة أن يتكلم معها يجب أن يجعلها خلفه على يمينه أو يساره إذا كان واقفاً،وإن كان جالساً أن يجلسها إن استطاع في الجهة التي لا تكون مواجهة له بل يجعل محل نظره الجهة التي لا يراها فيها، وإن دعت الضرورة أن يواجهها بوجهه فعليه أن يغض بصره أو يطأطيء رأسه أو يلفت عنقه، فإن عمله هذا مرضاة لله مُحَّدة عند الناس، موجبة لمحبة الخلق وثقتهم، وموجب لكمال حياء المرأة، فإن الأصل في المرأة الحياء،وإنما يقوى عندها

إذا تجمل الرجل به أمامها.ولا يجوز لك ياأخي أن تختلي بامرأة أجنبية منك مهما وثقت من نفسك، فإنك أعلم بنفسك من غيرك، فإذا كنت واثقا من نفسك أن خلوتك بها لا تشغل قلبك ولا تنقض وضوءك لما تراقبه من الخوف من الله ومن عقوبته سبحانه، فهل تثق أن المرأة بلغت ذلك ؟! فإن لم تخف على نفسك ياأخي فخف عليها أن توقعها في المعاصي.

7 – ومن آداب المجالسة أن يجلس الصبيان وراء الظهور، وأن يترك الرجل البسط مع الصبيان مطلقًا إلا مع ابنه أو ابن أخيه أومن له به نسب من سن السنة الخامسة، حفظًا لآداب الصبي وبعدًا عن الشبه.

8 – ومن آداب المجالسة أن يجتهد المسلم في حفظ لسانه مما يخجل من ذكر العورات، وإذا كان لابد من ذكر شيء من العورات فليعبر عنه بكناية أو إشارة.

9 – ومن الآداب التي يراعيها المسلم أن لا يطمع فيما في يد أخيه، ويجتهد أن لا يخسره شيئاً من ماله، والأولى أن يكون متفضلاً مسارعًا إلى فعل الخير مساعدا أخاه بماله ونفسه،فإن ذلك من أخلاق المؤمنين الذين يمنحهم الله فضله ورحمته ورضوانه.

وأساس المجالسة التسامح، فإن الرجل المتسامح الكريم الأخلاق إذا سمع كلمة من مجالس تكدره، أو رأى عملا يكدره، حمله من أخيه على أجمل محامله فيدوم بذلك الصفاء.

ومعلوم أن أكثر الخصومات والمنازعات قد تنتج من كلمة يقولها الجليس لجليسه بسلامة نية، فيردها عليه بحماقة ويتأولها شر تأويل فتوقد نار البغضاء، ومعظم النار من مستصغر الشرر، فقد يقول الأخ الكلمة الثقيلة على أذن أخيه لا يقصد بها إلا خيرًا، ولو حمل الأخ كلمة أخيه على أجمل محامله لدام الصفاء والوفاء، ولكان المسلمون كالجسد الواحد كما شبههم رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾

وإن اللسان شر أبواب جهنم، وخير أبواب الجنة، يقول ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ : " وهل يكب الناسَ على مناخرهم في النار إلا حصائدُ ألسنتهم " وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۞ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ۞ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ۞ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[1]

المجالس التي ابتدعها الناس :

وقد ابتدع الناس مجالس يقتلون فيها أوقاتهم، ويسودون فيها صحفهم، أما أنهم يقتلون فيها أوقاتهم فإنها ليست لعمل في الدين ولا في

(1) سورة إبراهيم أيه 24 – 27

الدنيا، وكفى الإنسان العاقل المطالب في كل نفس بحق متعته، أن يأتي يوم القيامة وقد ترك القيام بواجب أوقاته.

وأما كون تلك المجالس تسود الصحف فلأنهم يجلسون فيها إما لشرب المحرم، أو للتعاون على الإثم والعدوان، أو لكشف عورات الناس، أو للفخر والرياء، وقد عظمت البلية، حتى كثرت تلك الأماكن المعدة لتلك المجالس، وصارت مفسدة للأخلاق، فإن شياطين الإنس جعلوا لها أماكن في المواضع العامة، وأعدوا فيها كل منكر من طعام وشراب، ونساء متبرجات وغلمان، كل ذلك مصائب لإلقاء المسلمين في مهاوي غضب الله تعالى، حتى صار سخيف العقل يخرج من بيته الطلق الهواء، الجميل الفراش والرياش، وهو فيه آمر مطاع، فإذا سئل إلى أين ؟ يقول " أستنشق الهواء، فيذهب إلى بؤرة فساد في وسط شارع، تنبعث منه روائح القاذورات،وأنفاس المارة، وتعلو به الضوضاء بأصوات السوقة،فيجلس وعلى يمينه مواقف السيارات وعلى يساره روث الحيوانات، فيستنشق هواءاً ممزوجا بأخبث الروائح، بين قوم يكون معهم محتقراً منتقدا، فيخسر ماله ودينه وجاهه، ويشرب في أقداح تنفس فيها المرضى بالأمراض القتالة، وربما جلس بجواره مريض بمرض يجب شرعا الفرار منه، يجلس المسلم بهذا الحال في هذه المجالس، فيسمع الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، ينادي لها المؤذن، وكأنه أصم لا يسمع، وبهيم لا يعقل.

وعندي أن المساجد الآن أنقى هواء من الملاهي، وأدعى لانشراح الصدر، ولترويح النفس، فإن المسلم إذا توجه إلى المسجد يستنشق هواءًا

جيدًا نقيًا،لأن المساجد غالبا تكون في الأماكن البعيدة عن القاذورات، وتكون كثيرة النوافذ، ويجد فيها المسلم من يجالسه فيها دينا وخلقا وأدبا، ويجد فيها من يثنى عليه ويحبه لقيامه بما فرض الله عليه، ويتعرف فيها بإخوان الصدق، الذين يكونون جمالا له في غناه، ومالا له في فقره، يسألون عنه إن غاب، ويثنون عليه ويسرون به إن حضر، ويخلصون له.

فيا أيها الأخ التارك لقصرك، الذي ،جمع أنواع مسراتك، التارك لبيت ربك الذي ،به نيل سعادتك في الدنيا والآخرة، المسارع إلى الملاهي، ما الذي ،اكتسبته من العلم أو الجاه أو الصحة ؟! ومن هم الإخوان الذين تكتسبهم في الملاهي ؟! وهم أخدانك مادمت غنيا قادراً على مساعدتهم، فإذا دعت الضرورة –ولا يخلو إنسان من الضرورة – كانوا عليك لا لك، كل هذا في الدنيا، وفى الآخرة عذاب شديد، وخصومة بينك وبينهم، وعداوة شديدة.

إذا أردت ياأخي، أن تؤاخي إخوان صفاء وخلان وفاء فاجتهد أن تصطفى لك إخوانا من المساجد، ومن مجالس العلم النافع، ومن أهل التقوى والصلاح، وكل أخ غير هؤلاء فهو عليك، لا لك، وكل جليس لا تدعوك الضرورة إلى مجالسته غير هؤلاء، فهو مرض ينبغي أن يفارقه الإنسان بحكمة حكيم، خصوصاً شياطين الإنس، الذين يعينون على معصية الله، ومخالفة سنة رسول الله، فإنهم ألد الأعداء وأسوأ الجلساء.

وقد أمرنا الدين بالاجتماع وعين لنا مكان الاجتماع وزمانه، لتدوم صحتنا وتجدد بهجتنا، وتقوى أمتنا، والله أسأل أن يشرح صدرنا للعمل بالكتاب والسنة، ويصرفنا عن العمل لحظنا وهوانا، إنه مجيب الدعاء، آمين.

من المأثور عن آداب المجالسة :

قال ﷺ : " ثلاثة من المروءة في الحضر : تلاوة كتاب الله عز وجل، وعمارة مساجده، واتخاذ الإخوان في الله تعالى ".

وكان سعيد بن العاص يقول : لجليسى على ثلاث : إذا دنا رحبت به، وإذا حدَّث أقبلت عليه، وإذا جلس أوسعت له.

وعن ابن عباس قيل له : من أحب الناس إليك ؟قال : جليسي. وكان يقول : ما اختلف رجل إلى مجلسي ثلاثا من غير حاجة تكون له إلىَّ، فعلمت مكافأته من الدنيا.

وقال الأحنف بن قيس : الإنصاف يثبت المودة، ومع كرم العشرة تطول الصحبة، وكان يقول : ثلاث خلال تجلب بهن المحبة، الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة، والانطواء على المودة.

وقال بعض الصوفية : لا تعاشر من الناس إلا من لا تزيد عنده ببر، ولا تنقص بإثم، ومن يتوب عنك إذا أذنبت، ويعتذر إليك إذا أسأت، ويحمل عنك مؤونة نفسه، ويكفيك مئونة نفسك، وهذا من أعز الأوصاف في هذا الوقت.

وكان أبو ذر يقول : الوحدة خير من جليس السوء، و الجليس الصالح خير من الوحدة.

وروي عن إمام الأئمة الحسن بن يسار البصري رحمه الله أن رجلا قال له : يا أبا سعيد إن قوما يحضرون مجلسك، ليس بغيتهم الفائدة منك، ولا الأخذ عنك، إنما همهم تتبع سَقَط كلامك وتعنتك في السؤال، ليعيبوك بذلك، فتبسم الحسن ثم قال: هون عليك يا ابن أخي، فإني حدثت نفسي بسكنى الجنان فطمعت، وحدثت نفسي بمعانقة الحور الحسان فطمعت، وحدثت نفسي بمجاورة الرحمن فطمعت، وما حدثت نفسى قط بالسلامة من الناس،لأني قد علمت أن خالقهم، ورازقهم، ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم، فكيف أحدث نفسي بالسلامة منهم ؟!.

وبمعناه ما روي عن سيدنا موسى عليه السلام أنه قال: "يا رب، احبس عني ألسنة الناس، فقال الله تبارك وتعالى : يا موسى، هذا شيء لم أرده لنفسي، فكيف أريده لك ؟!" وفي لفظ آخر : " لو خصصت بهذا أحدا، لخصصت نفسي بالسلامة منهم ".

قال مُحَمَّد بن الحنفية ﷺ: ليس بلبيب من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا، حتى يجعل الله له منه فرجا، فمعاملته لمن يتقي ومخالطته إخوان الاضطرار ومعاشرته التقي أو مصافاته؛ من أحسن الإحسان.

وقال بعض الأدباء : الناس أربعة : فواحد حلو كله فهذا لا يشبع منه، وآخر كله مر وهذا لا يؤكل منه، وواحد فيه حموضة، فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك، وآخر فيه ملوحة فخذ منه إذا احتجب إليه.

وقال بعض الأئمة : الناس أربعة فاصحب ثلاثة ولا تصحب واحدًا : رجل يدري ويدرى أنه يدرى فهذا عالم فاتبعوه، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى، فهذا نائم فنبهوه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فهذا جاهل فعلموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فهذا منافق فاجتنبوه، ومثل هذا الرابع قول سهل : ما عصى الله عز وجل بمعصية شر من الجهل، وأعظم من الجهل : الجهل بالجهل.

وقال بعض الأدباء : ثلاثة، فاصحب رجلين واهرب من الثالث : رجل أعلم منك فاصحبه تتعلم منه، ورجل أنت أعلم منه يقبل منك فاصحبه تعلمه، ورجل معجب بنفسه لا علم عنده ولا تعلم فاهرب من هذا. وكان أبو مهران يقول : أخرج من منزلي فأنا بين ثلاثة : إن لقيت من هو أعلم مني فهو يوم فائدتي أتعلم منه، وإن لقيت من هو مثلي فهذا يوم مذاكرتي، وإن لقيت من هو دوني فهو يوم مثوبتي، أعلمه فأحتسب فيه الأجر.

وقال أبو جعفر مُحَمَّد بن علي لابنه جعفر بن مُحَمَّد عليهما السلام :لا تصحبن من الناس خمسة واصحب من شئت : الكذاب فإنك منه على غرور، وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب، والأحمق

فإنك لست منه على شيء، يريد أن ينفعك فيضرك، والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه، والجبان فإنه يسلمك ماله ونفسه عند الشدة، والفاجر فإنه يبيعك بأكلة أو بأقل منها، قلت : وما أقل منها ؟

قال : الطمع.

وقال بعض الحكماء : كل إنسان مع شكله كما أن كل طير مع جنسه، وقال بعض الحكماء : عاملوا الناس بمحض المودة، وعاملوا العامة بالرغبة والرهبة، وسوسوا السفلة بالمخافة، ومثل جملة الناس كمثل جملة الشجر، منهم من له ظل ليس فيه ثمر، وهذا الذي ،فيه نفع من الدنيا ولا ثمر له في العقبى، ويحتاج إليه في وقت، ومنهم من فيه ثمر وليس له ظل، وهذا يصلح للآخرة ولا يصلح للدنيا، ومنهم من فيه ظل وثمر فهذا الذي ،يصلح للدين والدنيا وهو أعزها ، ومنهم من لا ظل له ولا ثمر وهذا هو الذي ،لا يحتاج إليه، فمثله في الشجر الغضا وهو شوك البرية، التي تسميه العامة أم غيلان، يمزق الثياب لا طعام فيه ولا شراب، فهذا في الناس يضر ولا ينفع ويكثر ولا يدفع، ومثله كما قال الله تعالى : ﴿ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ [1]

وقال الإمام الشافعي ﷺ ليونس بن عبد الأعلى : والله ما أقول لك إلا نصحًا، إنه ليس إلى السلامة من الناس سبيل،فانظر ما يصلحك فافعله.

(1) سورة الحج آية 13.

وقال الثوري ﷺ : رضاء الناس غاية لا تدرك، فأحمق الناس من طلب ما لا يدرك، نسأل الله العفو والعافية.

الباب الخامس
بماذا يعود مجد سلفنا الصالح ؟
الفصل الأول
التمسك بالكتاب والسنة

معلوم أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : " الحرب خُدعة " وفى الأثر : " الحكمة خير من أدوات الحرب " وقال الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[1] ومعلوم أننا أهملنا في وصايا نبينا ﴿ﷺ﴾ وأوامر ربنا، فسلط الله علينا من كانوا أتباعاً لنا.

وإنا إنما نصلح ونسود في هذا الزمان بما صلح به سلفنا الصالح، من تمسكوا بكتاب الله تعالى أولا، وليس هذا بالأمر العزيز علينا، فها هي آثار سلفنا الصالح جليـة، وسنن نبينا ﴿ﷺ﴾ بينة، وكتاب ربنا سبحانه وتعالى فيه تبيان لكل شيء، وإن أعداءنا قاموا بالقوة علينا، فلم يفلحوا في الحروب الصليبية، فهجموا على المجتمع من طريق التفرقة وإفساد ذات البين وبسط الآمال والوعود، فأفسدوا القلوب وموهوا على العقول، ونشروا القبائح الكاذبة على العلماء والأمراء، وشددوا

(1) سورة الأنفال آية 60.

على أهل الرأي والعصبية، وقربوا السفهاء والسفلة، فطمع الجهلاء واغتر السفهاء فضربوا المسلمين بعضهم ببعض، ومزقوا الجسد عضواً عضواً، حتى تمكنوا من محو القوة وسلب الحمية وإزالة العصبية وإطفاء نور الفتوة ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ [1].

أغضبوا الله بأعمال ظاهرها صواب، وباطنها عذاب، كالسراب الذي ،يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، فسلط الله بعضهم على بعض انتقاماً منهم، فخدعوا جماعة المسلمين بالآمال والوعود، حتى أزهقوا النفوس ظلما في ميادين الحطمة، وسلبوا المال قهرًا حتى استعانوا بالمسلمين على المسلمين والناس في غفلة لا يعلمون إلى أين يساقون، حتى قدر الله ما قدر فأيقظ بعنايته عباده أهل توحيده، ونبههم في كل أرض بعامل إلهي، فانكشف الغطاء عن خفي البلاء الذي ،أعده أعداؤنا للمجتمع الإسلامي، حتى علم المسلمون – بل وأهل ذمتهم – بتلك الهاوية التي حفرها أعداء العدل والحرية والمساواة للشرق وأهله جميعا، فقاموا عن بكرة أبيهم قومة رجل واحد.

وإني في هذا الموقف أولا أشكر الله تعالى على ما تفضل به، وأسأله أن يؤيدنا بروح منه سبحانه، وأقول لنفسي ولإخوتي المؤمنين جميعًا ولأهل ذمتنا ومواطنينا : قد آن أن تعلموا جميعا ما عليكم من الحقوق لسلفكم الصالح الذين ورثوكم هذا المجد، وأجلسوكم على عرش هذا الملك متمتعين

(1) سورة إبراهيم آية 42.

بعقيدة التوحيد التي تجعل الإنسان ليس فوقه إلا الملك القهار، وبعبادة الله وحده التي تجعل الإنسان عزيزًا لا يذل لغير الله، وبالرحمة الحقيقية والمعاملة التي تجعل الإنسان أخاً للإنسان يحب له ما يحب لنفسه، كل ذلك لم يكن إلا بالعمل بكتاب الله تعالى ؛ والسمع والطاعة لرسول الله.

نال أهل ذمتنا من سلفنا الصالح النجاة من ظلم الرومان والفرس، وعاشوا أحرارًا في بلادهم، أحرارًا في دينهم، أحرارًا في معاملتهم، محفوظة دماؤهم وأموالهم وأعراضهم إلا بحق عدل من حقوق الله تعالى، يحفظ المسلمون ثغورهم وزراعتهم وصناعتهم وتجارتهم، ويدفعون الأعداء عنهم، وهم آمنون في أوطانهم، متمتعون بالمسرات بين عشيرتهم، وهم القليلون عددا وعُددا، ومع ذلك فكل واحد منهم يتمتع بما يتمتع به أشرف المسلمين نسباً وأرفعهم قدراً.

اشتكى قبطي أمير مصر – عمرو بن العاص – لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، أنه لطمه على وجهه، فأحضر الأمير في الحج الأكبر، وأمر القبطي أن يلطمه كما لطمه على وجهه أمام المجتمع، ونادى بأعلى صوته : إن الناس ولدتهم أمهم أحرارا فبم استعبدتموهم ؟!.

وكان المسلم إذا سكن جاره واحد من أهل الذمة، أمر المسلم أن لا يبني حجرات فوق بيته سترًا لعورات جاره من أهل الذمة حتى يبني جاره.

سارع الناس في الإسلام حبا فيه لما رأوا السلف الصالح متمسكين به ظاهراً وباطنا، وقد انتشر الإسلام في أقل من عشر سنين في قارتي آسيا وأفريقيا كانتشار أشعة الشمس عند شروقها. لعل مخادعاً يقول : انتشر بالسيف والحيف، فنقول له : إن السيف الإسلامي إنما سل على أهل الظلم الذين سلبوا حرية بني الإنسان – من الروم والفرس – وإلا فالسيف الإسلامي لم يسل على رجل من آسيا وأفريقيا، وإنما سل على الظلمة المغتصبين الذين أفسدوا البلاد، واستعبدوا العباد، فطهر الأرض من ظلمهم وجورهم، وأبدل بالظلم عدلا، وبالغطرسة فضلا، وبالجور رحمة حتى عاش الإنسان بالإسلام والمسلمين في صفاء وهناء، ولم يعكر هذا الصفاء إلا طمع الطامعين وظلم الظالمين وبغي أهل البغي، واقرأ تاريخ الحروب الصليبية تر كل ظلم حصل بين المسلمين في بطون التاريخ لم يتعدهم. فإن الحوادث كلها التي سفكت فيها الدماء، دعا إليها حب العدل وانتشار الرحمة وقيام الأمة لنصرة الحق مع من ترى فيه الخير.

الفصل الثانى
توحيد المسلمين تحت راية الخلافة الإسلامية

إنا والحمد لله علمنا مقدار ما نناله بالتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وما نخسره بترك العمل بهما، الأمر الذي ،يمكن أعداءنا منا ويجعلنا أذلاء محتقرين مهانين، وقد ظهر لنا جليا ما يقصده أعداؤنا، يقصدون محو ديننا، وتفرقة كلمتنا، وسلب مجدنا، واستعمالنا كعبيد أذلاء ؛ لا دين ولا وطن ولا حق لنا.

محوا الشرف من الأرقاء، واستعبدوا الأحرار، رحموا البهائم وظلموا المسلمين، محوا آدابنا وصناعاتنا وفنوننا واستولوا على الأراضي الزراعية والعقارات والتجارات حتى أصبحنا – بعد الملك والعزة – كالأنعام السائمة.

أفسدوا قلوب المسلمين على أمرائهم حتى فرقوا أعضاء الجسد من الجسد، ثم أخلفوا وعدهم، يدخلون على الأمة بطريق الإصلاح ودفع الظلم، ويبذلون ما في وسعهم من الحيلة والسياسة، حتى إذا تمكنوا استعبدوا الأحرار واستعملوا الأشرار، وجعلوا النصوح متعصباً، والمتمسك بدينه جاهلا، حتى أباحوا الأعراض، فأصبحت النساء كأنهن السلع التي تعرض في الأسواق لتباع لمن شاء، وقد ظهرت خدعهم وعلمت قصودهم، وليس بعد العيان بيان.

هذا وإن المغتصب إذا ظهر اغتصابه رد ما في يده مستحييا وطلب السماح والعفو، ولكن هؤلاء القوم – مع ظلمهم واغتصابهم ومطالبة صاحب الحق لحقه – تأبى النفوس الظالمة إلا أن تسفك الدماء وتكسر الرؤوس ظلما على ظلم، وجوراً على جور، والله غالب على أمره.

فالواجب على جماعة المسلمين وأهل ذمتهم أن يتحدوا على المطالبة بحقوقهم، وأن يرجعوا إلى الحق، متحدين مع إخوانهم الذين عاشوا معهم القرون الكثيرة.

وإني لا أرى وسيلة أنجح لهذا المقصد من الرجوع إلى خليفة المسلمين ووليِ أمرهم، والاتحاد بأمرائه الذين أقامهم، وولاته الذين عينهم، ونبذل ما في وسعنا للأخذ بناصره والذود عنه، ونكون أول عامل لتوحيد كلمة المجتمع، ولا نرى لأعدائنا حقا علينا، ولا نرى لهم صفة معنا نتفاهم معهم فيها، إلا نيل حقوقنا التي هي لنا شرعا وعقلا، ونداوم على ذلك مع تمام الاتحاد والتماسك وانتهاز الفرص، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [1].

وإن كل سكان آسيا وأفريقيا الذين بلغ عددهم ثمانمائة مليون نفس [2] كلهم في هذا المقصد واحد، لأنهم مضى عليهم أربعة عشر قرنا وهم في صفاء وهناء، حتى هجم الإفرنج عليهم، فعكروا هذا الصفو، وفتحوا أبواب

(1) سورة ال عمران آية 126.
(2) كان ذلك عند إملاء الإمام أبي العزائم علية السلام لهذا الكتاب.

الفساد الديني، والخراب الدنيوي، ولا سبيل لمحو هذه الأمراض إلا التمسك بالاتحاد والعمل لإبعاد أسباب هذه الأمراض.

وآسيا وأفريقيا والحمد لله أغنياء بحاصلاتهما الزراعية، أغنياء برجالهما، وإنا لنطمع أن يعود لنا هذا المجد فينتشر هذا النور في أوربا وأمريكا والأوقيانوسية[1]، كما انتشر قبل، وسيتضح الحق للعقلاء من الأوربيين، فيسارعون إلى الإسلام كما سارع إليه العقلاء من قبلهم، وإنا إن شاء الله تعالى سنتوب إلى الله تعالى، ونتمسك بكتاب ربنا وسنة رسوله ﷺ ، لتظهر أنوار الحق لكل الخلق، فيرفض أهل العقل منهم ما هم عليه من الظلم والجور والباطل ؛ ويرجعون إلى الإسلام كما رجع السابقون، والله ولي التوفيق.

أسأله سبحانه وتعالى أن يمد جماعة المسلمين بروح منه، ويجمعهم، ويؤيد البقية الباقية للمسلمين، ويصلح أحوالنا، ويدفع عنا أهل الظلم والطغيان بانتقام منه سبحانه وتعالى، حتى يريح البلاد والعباد إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا ومولانا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم.

(1) يطلق على المحيط الأطلسى : المحيط الأوقيانوسي كما يطلق على البحر الأبيض : بحر الروم ، و البحر الأحمر : بحر القلزم.

الخاتمة

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾[1]

إني كتبت كتاب: (الإسلام وطن) وكتاب: (الإسلام نسب) وكتاب: (الإسلام دين) وكأني أستمد من الغيب المصون المنبيء بأن الله سبحانه وتعالى يعيد مجد الإسلام كما كان في السلف الصالح، ويظهر آياته الكبرى لتنجيز ما وعد به بقوله تعالى:﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾[2] وكنت أكتب وكلي رجاء في الله تعالى أن يجمع قلوب جماعة المسلمين، ويؤيدنا بروح منه سبحانه ويمدنا بنصره العزيز، حتى تشرق الشمس من مشرقها.

وأكتب هذه الكتب في السنة السادسة والعشرين من بعد الألف والثلاثمائة، محاطًا بما يُيْئسُ أهل الجهالة بالله، ويسارع بالمغرورين إلى القنوط من رحمة الله، بما يرونه من القوة والصناعات عند أعداء الله تعالى وبذلك مالوا إليهم وتولوهم، فكنت أكتب طامعًا وكأني تشرق عليَّ العناية من الله

(1) سورة النور آية 55.
(2) سورة المائدة آية 54.

تعالى بأمة حبيبه ومصطفاه ﷺ واشتد الأمر حتى صار المسلمون في أكثر البلاد يساعدون الأعداء على البقية الباقية لهم، فلم أزدد في الله إلا رجاء، وفى الله تعالى إلا ثقة، وبتصديق وعده العزيز إلا طمأنينة، ومكثت أكثر من عشر سنين وأنا بين فرح بوعد الله، حزين مما أراه، فأحببت أن أطبع هذه الكتب كتابًا كتابًا، ولكن سواطع أنوار تصديق وعد الله وعبير طيب عناية الله، أظهرت عجائب خفي لطفه بأمة حبيبه ومصطفاه، فسرت روح معونة الله فحركت القلوب والأبدان، وأحيت العقول والأفكار، وأيقظت من أنامتهم الغفلة وأرقدتهم الجهالة وكم لله من لطف خفي.

(تم بحمد الله وحسن توفيقه)

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
فاتحة الكتاب	2
مقدمة	15
الباب الأول– الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله	17
الفصل الأول : الإسلام وطن	17
كم أخفى الجهل معالم الحق وشوه جماله	17
حقيقة تعريف الوطن	18
تذكر أيها المسلم منذ كان الإسلام وطنك	19
التحرز ممن لم يدخل الإيمان في قلوبهم	21
الذين يقولون بألسنتهم: أنهم مسلمون	23
صفة هؤلاء القوم	23
الفصل الثانى: المسلمون جميعاً أهل كل وطن إسلامى	26
أدلة ذلك من القرآن والسنة	26
المجتهد والمقلد والمدعى	28
طوائف أخرى من أهل الجهالة	30
من جهل حقيقة الوطن	31
نتائج الجهل بالوطن	32
أسباب ما نحن فيه	34
الباب الثانى– في العلوم ونيل الإنسان كماله وسعادته	38

الفصل الأول: العلوم	38
تعريف العلوم إجمالاً	38
الطريق إلى إستفادة العلوم	39
أنواع العلوم الإسلامية	42
التقسيم الأول	43
أولاً: علم الأدب	43
ثانيا: علم الذهن	43
ثالثاً: ما يعلم بأمور ذهنية تستنبط من دال خارج	44
رابعاً: ما يستنبط باستخدام الذهن مادته الخارجية العلوية	45
خامساً: الشرعى	45
التقسيم الثانى	46
أولاً: علم الأذهان	46
ثانيا: علم اللسان	46
ثالثاً: علم الأبدان	46
رابعاً: علم الأديان	46
الفصل الثانى: نيل الإنسان كماله بالقرآن وسعادته بالإسلام	48
نصيحة لدعاة الإصلاح	52
نيل السعادة بالمحافظة على الإسلام	53
الباب الثالث– الإسلام هو الوطن	56

الفصل الأول: المساواة في الإسلام	56
الفصل الثانى: نماذج مأثورة عن الخلفاء الراشدين وأئمة أهل البيت	60
من كلام سيدنا أبى بكر الصديق رضي الله عنه	60
من كلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه	62
من كلام سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه	65
من كلام سيدنا على بن أبى طالب رضي الله عنه	66
من كلام سيدنا الإمام الحسن السبط عليه السلام	70
من كلام سيدنا الإمام الحسين عليه السلام	72
من كلام سيدنا على بن الحسن الملقب بزين العابدين	73
من كلام سيدنا مُحَمَّد الباقر على زين العابدين	73
من كلام سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه	74
من كلام سيدنا موسى الكاظم رضي الله عنه	76
خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع	78
الباب الرابع –– في المعاملة وا لإنسان	81
الفصل الأول : في المعاملة	81
الآيات الدالة على نيل السعادة بالعمل	82
مزيد بيان في المعاملة	83
مراقبة العامل	84
نبذة من معاملة المقربين	87

الفصل الثانى : الإنسان	88
الإنسان وما أدراك ما الإنسان	88
التكاليف الشرعية التي أوجبها الله علينا	89
النطق بالشهادتين	89
بصلاة	90
بصيام	90
بزكاة	90
بحج	90
القربات التي بها تكون قريبا من الله	90
آداب حسن المجالسة	93
الآداب التي يراعيها المسلم مع جلسائه	94
المجالس التي ابتدعها الناس	96
الباب الخامس -- بماذا يعود مجد سلفنا الصالح	101
الفصل الأول : التمسك بالكتاب والسنة	101
الفصل الثانى : توحيد المسلمين تحت راية الخلافة الإسلامية	104
الخاتمة	106
الفهرس	107